دير القديس أنبا مقار
برية شيهيت



وعمله داخل النفس

عرضٌ لأقوال الآباء النساك

الأب متى المسكين

كتاب : الروح القدس وعمله داخل النفس
عرض لأقوال الآباء النسّاك .
المؤلف: **الأب متى المسكين**
الطبعة الأولى : ١٩٧٤
الطبعة الثانية : ١٩٨٧
مطبعة دير القديس أنبا مقار ــ وادي النطرون
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية : ٨٧/٣٨١٩ .
الترقيم الدولي : ٥ ٠٧٧ ٤٤٨ ٩٧٧

يُطلب من : دار مجلة مرقس
٥٠ «ا» شارع شبرا ــ القاهرة
٣٤٤ طريق الجيش ــ جليم

المحتويات

الفصل الأول

الروح القدس

في تعاليم القديسين أنبا أنطونيوس وأنبا مقاريوس

أولاً: عمق العلاقة التي تربط النفس بالروح القدس:

مقدمة

الآباء القديسون الأوائل لهم سيرة عليها بصمة الروح القدس بلا نزاع، إنها سيرة روحانية بكل معنى الكلمة، ورائحة الروح القدس **العطرة** ـ كما يصفها القديس أنبا أنطونيوس[1] ـ تفوح من أعمالهم وأقوالهم التي تركوها لنا ميراثاً ثميناً.

والعجب أن هؤلاء القديسين، من حيث سيرتهم السابقة، فإن غالبيتهم خرجوا من بيوت أمية و بيئات اجتماعية دون المتوسطة، ومنهم من كانوا أشراراً عتاة تقلبوا على كل مراتب الخطيئة والشر، ولكن بانقيادهم للروح القدس بعزم لا يُقهر و بنشاط حار وتلقائية سريعة بلا تحفظ عند تقبُّلهم أول هاتف للتوبة، صاروا قديسين وأبراراً، وصارت حياتهم نبراساً ونموذجاً للكنيسة كلها، للإنسان الجديد المخلوق بحسب الله في البر وقداسة الحق.

واستمرت فاعلية الروح القدس الصفة الأولى والعظمى السائدة على كل نشاطهم وحياتهم، فأكملوا قول الرسول ـ «منقادين بروح الله» (رو٨: ١٤). لذلك فقد استطاع الروح أن يحقق في حياتهم بل وفي أنفسهم وأجسادهم كل مواهب المسيح وعطاياه الخلاصية الفائقة. فحياتهم ترجمة واقعية لمعنى الفداء وعمل الخلاص والمسح بالدم والميلاد الثاني وحياة التجديد والإيمان العامل بالمحبة، والرجاء الحار الذي يعيش ملء المستقبل في صميم الحاضر و يتذوق حتى فداء الجسد، والحب الذي يحوِّل أعظم الآلام إلى نشيد للنصرة، حتى في أشد وأعنف الإضطهادات كانت تُسمع من أفواههم تسبحة الغلبة والخلاص، والنطق بالشهادة الحسنة للمسيح من تحت حد السيف.

فالذي يقرأ رسائل القديس أنطونيوس يخرج بانطباع روحي لا يمكن أن يفارقه مدى الحياة: نار. نار. نار، الدعامة الأساسية في تعاليم أنطونيوس نار إلهية تسكن النفس وتطير بها مرتفعة نحو السماء. هذه النار عند أنطونيوس هي سر الحياة الروحانية

---

(١) الرسالة التاسعة عشر ـ ص١١٢.

وأساس كل سيرة في المسيح ومبدأ كل فضيلة وعلة كل عمل صالح: [**إذا عُدِمَتَ هذه النار تصير كالطير الذي نُزِع جناحه**] (الرسالة الثامنة عشر).

لذلك فحروب الشيطان تتركز كلها ضد هذه النار الإلهية التي تسكن النفس: [**فلا تَدعوا قوة هذه النار تُنزع منكم، لأن حروباً كثيرة كائنة لكم من الشيطان لأجل هذه النار المعطاة لكم من الرب لكي ينزعها منكم، لأنه يعلم أنه لا قدرة له عليكم ما دامت نار الله فيكم**] (الرسالة الثامنة عشر).

ولا يطيق أنبا أنطونيوس أن يرى أحداً بدون هذه النار، فهو يستحث أولاده جميعاً وكافة من يسمعه أو يقرأ له أن يقتني هذه النار، لأنها جوهر الحياة الروحية والقوة الوحيدة الدافعة التي تدفع النفس إلى السماء وسط محن الحياة وحقد الشيطان وكل أهوال الموت! إسمعه يقول: [**ذلك الروح الناري العظيم الذي قبلته أنا اقبلوه أنتم أيضاً**]، ثم يتوسل إلى أولاده أن لا يشكُّوا قط في إمكانية قبوله: [**لا تفكروا في قلوبكم وتكونوا ذوي قلبين وتقولوا من يقدر أن يقبل هذا، لا ياأولادي، لا تدعوا هذه الأفكار تأتي على قلوبكم، بل اطلبوا باستقامة قلب وأنتم تقبلونه**] (الرسالة الثامنة).

وعند أنطونيوس، عبثاً يقاوم الإنسان أفكاره الشريرة ونشاط قواه التصويرية للنجاسة أو البغضة أو الحقد أو العداوة إلى أن يستسلم العقل لله نهائياً وكلياً، و يسلم كل أفكاره للروح القدس ليحرقها أمامه: [**وبسلطة العقل تطلبون من الله أن ينعم عليكم بإتيان ناره غير المادية من العلا إليكم لتحرق كل أفكاركم ومشوراتكم الردية التي في تلك المجمرة (أي الجسد)**] (الرسالة السادسة عشر).

□

ولا ينفرد أنبا أنطونيوس بهذا الإحساس الغامر والدائم لفعل الروح القدس الناري في النفس والجسد، بل يشاركه بنفس الحماس والغيرة أنبا مقار، في الإحساس بفاعلية النار الإلهية داخل النفس كاشفاً سراً من أسرار قوة صلاة القديسين الذين تسكنهم هذه النار الإلهية. إذ يقرر أن طبيعة هذه النار الإلهية طبيعة حارقة للشيطان وكل أفكاره وتصاويره: [**النفس إذا كان لها إقامة في شركة الروح القدس، فإن**

طول إقامتها في نار الروح ونوره الإلهي يحصنها ضد أي مضرة من أي روح شرير لأنه إذا اقترب من النفس فإنه يحترق بنار الروح السمائي] (العظة ٣٠ ص ٢٣٣).

و يعود أنبا مقار و يؤكد أنه يستحيل على النفس القاسية والقلب الحديدي الصخري الذي تقسَّى بالخطيئة والشهوة والكبرياء والعداوة، يستحيل أن يلين إلا بهذه النار السمائية، فهي وحدها القادرة على تغيير طبيعة النفس: **[حتى إذا نالت النفس هذه النار السمائية ومحبة الروح، حينئذ تنفك من محبة العالم وتفلت من كل فساد الأهواء وتتغير طبيعتها من يبوسة الخطيئة]** (العظة الرابعة).

كذلك فالذي يقرأ عظات أنبا مقار يخرج بانطباع عام لا يمكن أن يُمحى من قلبه، وهو تركيزه الفائق للوصف والحد على شدة العلاقة التي تربط الروح القدس بطبيعة النفس التائبة، فهو لا يكف ولا يهدأ من إعطاء التشبيهات المتوالية حتى يرسم في ذهن السامع عمق الصلة السرية المتعددة الصفات والإمكانيات التي تربط بين الروح القدس والنفس. ومن ثَم فإن تعدد الرُبُط وتعدد الصلات هو هو سر تعدد المعونات وتعدد مفاعيل الروح القدس في النفس البشرية. فالقديس أنبا مقار يمثل الإلتحام الكائن بين طبيعة الروح القدس وطبيعة النفس بالتعانق الحادث بين خيوط السَدَاة القوية الزاهية بخيوط اللُحمة الضعيفة الباهتة التي يتكون منها نسيج بهيج له صفة الأقوى.

ثم يعود ويمثل التغلغل الكائن بين طبيعة الروح القدس وطبيعة النفس بالماء الذي يغمر قطعة صخرية ويحيط بها من كل الجهات، فيجعلها تخف وتسهل حركتها. ثم يعود ويمثل التداخل الشديد والغامر بين الروح القدس والنفس بإيقاد مصباح في مكان مظلم. ثم يعود ويمثل الإتحاد بين الروح القدس والنفس باتحاد نسمة الحياة بالجسد القابل للموت. ثم يعود ويمثل اتحاد الروح القدس بالنفس، باتحاد النار بالحديد الصلب لفترة طويلة حتى يذوب و يتغير عن طبيعته. ثم يعود ويمثل هذا الإتحاد بالجناحين بالنسبة للطائر الذي يطير بهما في السماء، ثم يعود ويمثل هذا الإتحاد بالمعجزة التي تمت على يدي إليشع النبي عندما ألقى قطعة خشب صغيرة في الماء (٢مل٦: ٤ـ٧)،

فالتصق الخشب بالحديد الساقط في قعر الماء وارتفع به إلى السطح، والأخف رفع الأثقل!!

وفوق هذا كله، وقبل هذا كله، يصف الإتحاد الكائن بين الروح القدس والنفس البشرية بالعلاقة السرية جداً القائمة بين روح الله والشاروبيم الحامل لعرش الله، هذه الصلة التي جعلت من الشاروبيم ذوي الأوجه المخلوقة، حيواناً روحانياً مسبّحاً، **كريماً جداً ولائقاً أن يحمل عرش الله.**

هذا، ولكل تشبيه من هذه التشبيهات عمل خاص للروح القدس يعمله داخل النفس ليكملها بالكمال المسيحي!!

ويكفي القارىء أن يتصور في نفسه إمكانية وجود هذه الصلات جميعاً التي تربط بين نفسه وبين الروح القدس، حتى ينذهل من فرط رحمة الله وحبه واتضاعه الذي وهبنا روحه الخاص الذي جعله بهذا القرب من طبيعتنا، وهذا الحب المجاني والتودد الفائق الإتضاع، لنتوب ونتجدد في الذهن والسيرة، ونصير بواسطته وبالإتحاد به والشركة معه خليقة روحانية صالحة جديرة بحلول الله ولكي يملأها بمجده لنسبحه الليل والنهار وإلى الأبد تسبيح الغلبة والخلاص.

□

أما مار إسحق، فعلى مدى كتبه الأربعة الضخمة التي تضم أكثر من ستمائة صفحة والتي يتحدث فيها عن كل ما يهم الناسك المسيحي السائر في طريق الحياة الأبدية، هذه كلها يخرج منها القارىء بانطباع يملك عليه كل تفكيره وهو عمل النعمة في الجهاد اليومي، النعمة. النعمة. النعمة.

والنعمة عند مار إسحق «**هي الملكوت**»، وهذا أيضاً هو ذات ما يقوله أنبا مقار في خطابه الكبير: [... **لأن ما هو هذا الملكوت الداخلي؟ «هوذا ملكوت الله داخلكم» إلا «فرح الروح»، هذا الذي يتدفق بقوة في النفوس المستعدة. أليس هذا الفرح وهذه الراحة المثمرة وهذا السُكْر الروحاني هو نفس ما يتذوقه المختارون في الفردوس في نور مجد الله؟**].

كذلك فإن النعمة عند مار إسحق هي أيضاً **عطية** الروح القدس، **وهي الروح القدس،** ثم بدونها لا يمكن أن تُقام صلاة مقبولة أمام الله، بدونها يستحيل أن تهدأ الأفكار الطائشة و ينجمع الفكر في الصلاة، بدونها لا يمكن أن يصلي الإنسان حتى ولو بتغصُّب، بدونها يستحيل الجهاد الجسدي أو النسك أو الصوم الخالي من الإرهاق والتوجع، بدونها يستحيل احتمال الضيقات أو المظالم، بدونها يستحيل الصبر على الآلام والأمراض والأعواز، بدونها يستحيل الإنفطام عن شهوات الدنيا ومجاذبات العدو، بدونها يستحيل القيام بأعمال إيمانية جريئة وإعطاء الشهادة الشُجاعة في حينها، بدونها يستحيل مواجهة الموت بدون انزعاج.

والعكس، عند مار إسحق أيضاً، صحيح. فالنعمة التي تمنح الصلاة تحل وتأتي أيضاً بالصلاة!! أو بمعنى آخر إن النعمة أولاً تشجع وتحث على الصلاة، فإذا استجاب الإنسان لحث النعمة تعود فتنسكب جهاراً بغزارة وبحرارة. كذلك فالنعمة التي توحي بالتغصب تأتي أيضاً بالتغصب، أو بمعنى آخر، يقول إن النعمة تحث على التغصب، فإذا استجبنا للتغصب سواء على الصلاة أو الصوم أو احتمال الإهانة أو الشتيمة أو الظلم تكون النتيجة أن النعمة تنسكب جهاراً بغزارة وفيض عظيم.

كذلك فإن النعمة و بنفس هذا الإتجاه المزدوج، تأتي بفيض و بغزارة عند احتمال الضيقات والآلام والأمراض والإنفطام عن شهوات العالم والجسد والشيطان وعند القيام بأعمال إيمانية جريئة والشهادة الحسنة.

وهكذا تغطي النعمة كل تعاليم مار إسحق، فهي تعمل من خلف النفس لتحثها على ركوب الصعاب حباً وكرامة وشهادة للمصلوب، ثم تسرع لتسند يمين السائر في الطريق الحرج. فإذا تقوَّم ونجح، تُسرع وتتلقاه بالأحضان عند نهاية الجهاد لتملأه أفراحاً سماوية وهدوء نفس، هذا الذي يسميه مار إسحق «عدم التألم» الذي يبلغه المجاهد النشيط المُعان بالنعمة في نهاية الطريق الحرج!!

وتعاليم مار إسحق تبلغ قمتها عندما يتحدث عن الحب الإلهي، فهو الثمرة الوحيدة التي تثبت أن الجهاد صحيح من صلاة وصوم ونسك وخدمة وعبادة. ولكن لا يمكن اقتناء الحب الإلهي بالصلاة ولا بالصوم ولا بالنسك ولا بأي عمل آخر، فهو من عمل

الـروح الـقدس مباشرة: [حب الله ليس هو عاطفة عابرة بدون إفراز، ولا هو يُقتنى من معـرفـة الـكتب، ولا هو يتولد من الفضيلة وعمل مخافة الله، أو يُقتنى بالجهاد أو بتصور حب الله، ولا يأتي من تأدية واجبات المحبة حسب الوصية؛ بل **إذا قبل الإنسان روح الإستعلانات وتجددت نفسه بحركات الروح** وحكمة الله التي تفوق العالم، فإنه يحس بـعظـمـة الله جـداً في نـفـسه. **وبدون هذا الروح لا يمكن أن يدنو أحد من مذاقة الحب الممدوحة**] (الجزء الأول ــ ميمر أول).

* * *

ولـكـن مـن وجهة نـظر الكنيسة نستطيع أن نقول إن العنصر الأساسي المشترك في حيـاة الآبـاء جميعاً من جهة عمل الروح القدس النشط، هو عملية البناء العجيبة التي يـضـطلع بها الروح القدس، بناء جسد المسيح السري، من هذه النماذج المخلوقة المتجددة المتـعددة من الشخصيات البارزة وغير البارزة، من الأفراد والجماعات والتجمعات في كـل الأماكن وعبر الأجيال، كل من انقاد بالروح وأطاعه وخضع لصوته وسار بتدبيره الـسري الـبـسـيـط. حتى أنـه أصبـح لـديـنـا الآن مـن واقع حياة هؤلاء الآباء العظام ومـنـاهجهم وسلوكهم وأقوالهم صورة رؤيوية لكنيسة المسيح الروحية، جسده السري، تـكـاد تـكـون كـامـلـة. أو بمعنى آخر ألا نستطيع أن نرى بالروح من حياة هؤلاء الآباء الأطـهـار وكل أخوتنا ومن سلوكهم العفيف وترفُّعهم عن أهواء هذا العالم وهروبهم من مجده الباطل وسلطانهم المطلق على الجسد وفرحهم في الآلام واحتمالهم وصبرهم الفائق على كـل الـضيقات والمحن ــ أقول ألا نرى في هذا صورة للمسيح القائم من الموت غالباً العالم وساحقاً الشيطان تحت رجليه؟؟

ثم ألم يـنـجـح الـروح الـقـدس بهـذا في تـكـوين أعضاء ممتازة لجسد المسيح السري بـقـيـادتـه الـحـكـيـمـة الـفردية والجماعية لهؤلاء الآباء وتلاميذهم ورعاياهم في طريق الـصـليب؟؟ ألم ينجح الروح القدس في وضع صليب المسيح على أكتاف هؤلاء بطرق متنوعة، وهكذا يقودهم حتى الجلجثة والقبر من خلال أعظم المحن والآلام، ثم يعبر بهم بـتـشـجـيـعـاتـه وتـعزياته بل وأفراحه وتهليلاته إلى مجد القيامة وهم لا يزالون في صميم الجسد والعالم وفي مواجهة الشيطان الساقط تحت أرجلهم سريعاً؟؟

ثم أليس بهؤلاء يقدم الروح القدس قيامة حقيقية دائمة إلى العالم؟ محققاً نصرة كاملة دائمة لصليب المسيح فوق العدو وفوق العالم؟ ثم ألا يحق للروح القدس بعد هذا أن يقف في وسط مختاريه و ينطق بلسانهم مرة أخرى «ثقوا أنا قد غلبت العالم» (يو١٦ : ٣٣)؟ و يكون بذلك قد تمم بالفعل وعلى طول المدى وعد المسيح «فهو يشهد لي وتشهدون أنتم أيضاً» (يو١٥ : ٢٧)؟

والنتيجة الحتمية لهذه المقدمة هي سؤالنا لأنفسنا : ما هو مقدار عمل الروح القدس فينا؟

ولكي نستطيع أن نرد على هذا السؤال نسأل سؤالاً آخر: هل نحن نعيش في شركة القديسين حقاً؟ لأن الروح القدس لا يعمل خارج شركة القديسين، لأن شركة القديسين هي جسد المسيح السري، أما شركتنا مع القديسين فهي شركة **حب وآلام وجهاد** مشترك يقودها الروح القدس، سراً وعلانية.

أما شركة الحب مع القديسين فلا يُقصد به الحب البارد الروتيني الذي نتعامل به مع الله ومع الناس أو الأقارب أو الأخوة، بل الحب الساخن الملتهب كالنار المتقدة التي ترتفع دائماً إلى فوق والتي تحصد كل ما يعترضها!! الحب الذي يزكيه الروح القدس فلا يكف الإنسان من رفع وجهه إلى فوق والدموع في عينيه، فلا يعرف صديقاً من عدو ولا قريباً من غريب، لا يضع العراقيل ولا يسوِّف في البذل، لا يعرف المداراة ولا الممالأة ولا المحاباة، يميل دائماً إلى الأضعف والأصغر والأحقر والمظلوم. هذا الحب الساخن هو المؤهل الوحيد للإلتحام الكامل مع بقية أعضاء الجسد، أي مؤهل الشركة في جسد المسيح السري، **فهو المؤشر الأول والأعظم الذي يدلك على مقدار عمل الروح القدس في داخلك.**

أما شركة الآلام مع القديسين فهي قبول نوع الصليب الذي يلقى عليك، باعتباره النصيب المعيَّن بتدبير الروح القدس لتكميل خلاصك سواء كان في نفسك أو في جسدك أو في مسئولياتك أو كرامتك أو سمعتك، ولكن بدون تذمر أو صراخ أو حقد أو طلب النقمة، بل بقبوله من يد الله بالرضى والشكر باعتباره دواءً وعلاجاً تحدد نوعه ومقداره وزمنه بمنتهى الحكمة والرحمة معاً و بالقدر اللازم الحتمي لشفاء النفس

وخلاصها. فإن كان لائقاً أن يكمِّل المسيح نفسه بالآلام وهو رئيس الخلاص، فكم يكون لائقاً أن يكمل الروح القدس خلاصنا بالآلام بصفتنا أعضاء جسد المسيح، وهو هو الذي كمِّل بالآلام؟

إذن فنوع الصليب الملقى علينا ودرجة احتمالنا له، ثم درجة قبولنا ثم درجة رضانا ثم درجة شكرنا، **كل هذا يحدد مقدار شركتنا في الآلام مع القديسين وبالتالي يحدد مقدار عمل الروح القدس في داخلنا.**

أما شركتنا في الجهاد مع القديسين فهي استجابتنا العملية لكل وصايا المسيح التي اقترحها لحفظ خلاصنا في أمان من مهاجمة العدو وحروبه التي يشنها على كل من يتجاسر ويخرج من تحت سلطانه و يقاوم إغراءاته وأباطيله.

فالمسيح أوصى بالصلاة الدائمة، والسهر القلبي، وعدم الملل من الصلاة أو السهر، حتى لا ندخل في تجربة مع العدو. وأوصى بالصوم للنجاة من سلطة العدو وإخراجه بالقوة من الفكر أو الأعضاء أو الإرادة. و ينبهنا المسيح بوضوح أنه لا توجد أية وسيلة أخرى نُخرج بها الشيطان من تسلطه على الجسد إلا الصوم المشفوع بالصلاة «هذا الجنس لا يخرج بشيء إلا بالصلاة والصوم» (مت١٧ : ٢١).

كما أعطى المسيح المثل للإعتكاف المؤقت للملء من الصلاة «وكان يمضي إلى مكان خلاء وكان يصلي» (مر١ : ٣٥)، وللإعتكاف الطويل نوعاً ما لإكتساب الراحة الداخلية وتجديد قوى الروح «وكان يمضي إلى الجبال و يبيت هناك، وكان يمضي الليل كله في الصلاة» (لو٢١ : ٣٧، ٦ : ١٢)، كما أعطانا المثل للإعتكاف الطويل في البرية لمواجهة النفس وكل تجارب العدو والتخلص من سلطان الجسد والعالم «وللوقت أخرجه الروح إلى البرية وكان هناك في البرية أربعين يوماً يُجرَّب من الشيطان، وكان مع الوحوش، وصارت الملائكة تخدمه» (مر١ : ١٢).

هذا الجهاد الذي تشترك فيه كل قوى الإنسان الجسدية والنفسية ضرورة حتمية يزكيها المسيح و يؤازرها الروح القدس لمواجهة عدو خبيث ينتهز كل فرص ضعف الإنسان في أي ناحية من نواحي كيانه الجسدي أو النفسي لكي يُسقطه في الخطية،

لحرمانه من حياة القداسة التي يشترك فيها القديسون، تمهيداً لفصله عن بقية أعضاء جسد المسيح حتى لا يعاين الله إلى الأبد.

لذلك فإن مستوى جهادك، ثم مقدار مساهلة الروح لك ومؤازرته في كل جهاد، وتقويته لعزيمتك في هذا الجهاد بكل أنواعه ودرجاته حسب الوصية، ثم الفرح والغيرة التي تتولد من الجهاد والمثابرة فيه، **كل هذا يكشف عن مقدار «انقيادك» للروح القدس، وبالتالي يوضح لك مقدار عمل الروح داخلك.**

وهذا ينتهي بنا في النهاية إلى السؤال الخطير: فماذا لو كان الروح القدس روح المحبة الساخنة منطفئاً في القلب، فلا رَفْعَ وجه ولا دموعَ حب ولا حرارة في علاقتنا مع الآخرين ولا تودداً ولا بذلاً بفرح ولا اشتياقاً يحرق القلب لخلاص النفوس السائرة في طريق الهلاك؟

ثم ماذا لو كان روح العزاء منقطعاً فِعْلُه داخل النفس، حيث انعدام القدرة على مجرد احتمال الألم أو تحمُّل إساءة أو ظلم أو إهانة أو شكر على تجربة أو حتى مجرد الصبر في الضيق أو الرد على تعيير العدو؟

كذلك ماذا لو كان روح الجهاد محزوناً داخل النفس بسبب الكسل والتواني والإستهتار بالصلاة والصوم والسهر والتململ من أي جهد مبذول في خدمة الروح؟

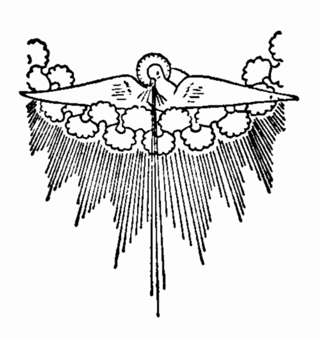
كل هذا يكشف بلا مواربة أن الروح القدس إما منطفىء، أو محزون، أو لم يملأ القلب بعد. وهنا يقف القديسون النساك العظام أنطونيوس ومقاريوس وكل الذين غلبوا وعبروا، يستحثوننا بكل توسل. فأنبا مقاريوس ينادي أولاده أن **يقفوا على أرجلهم يطلبون هذه العطية ويصرخون إلى الله كمجروحين جرحاً مميتاً، أو كمن يعترضهم شبح الموت ليصدهم عن الحياة الأبدية.** وأنبا أنطونيوس يتوسل إلى أولاده أن يديموا الطلبة باجتهاد ولا ينقسموا في أفكارهم أو يقولوا من يقدر أن يقبل هذا:

[لا ياأولادي لا تدعوا هذه الأفكار تأتي على قلوبكم. اطلبوا باستقامة قلب وأنتم تقبلونه. اطلبوا باستقامة قلب هذا الروح الناري، وحينئذ

يعطى لكم. أديموا الطلبة باجتهاد من كل قلوبكم فإنه يُعطى لكم، لأن ذاك الروح يسكن في القلوب المستقيمة. وإن طلبتي من أجلكم في الليل والنهار أن يكون فيكم هذا الروح بعظمته ولذته الذي قبله جميع الأطهار... اطلبوا لكي يلقي الرب يسوع في قلوبكم هذه النار التي جاء ليلقيها على الأرض حتى تستطيعوا أن تتدربوا في عزائمكم وحواسكم].

□

وهكذا نأتي إلى ختام هذه المقدمة متوسلين إلى الله بكل رجاء وطلبة، من أجل كل نفس في الكنيسة أن يكون الآن هو الوقت المقبول لها وساعة الخلاص و بدء التوبة للمصالحة مع الروح القدس، لتجديد الحياة وللدخول الصادق في شركة القديسين.



تعبيرات لاهوتية عن الروح القدس
للقديسين أثناسيوس الرسولي وكيرلس الكبير

وإن كـان شـغل اللاهوتيين الشاغل هو الدفاع عن الإيمان بسبب الصراع اللاهوتى الحادث في أيامهم، إلا أنه لم تخلُ تعبيراتهم العقائدية الصرف من منفعة عظيمة للنساك الـذيـن كـانوا يعيشون في نور هذه الحقائق اللاهوتية، لأن اللاهوت الحقيقي هو ما كان عن تجربة إيمانية صادقة وتذوُّق من صميم الممارسة. واللاهوتى الحقيقي هو من عاش مع الله وارتفع إليه بالرؤ يا ودخل إليه وخرج!!

ومـن أعـظـم مـمـيـزات لاهـوت القديسين أثناسيوس وكيرلس: صحة عن اختبار، ودقـة عـن صـفـاء الـرؤ يـا، وتـصـمـيم يبلغ حد الإستشهاد بسبب قناعة أتت من عمق الإحساس بالحق.

لـذلك رأينا، قبل أن نأتى إلى أقوال الآباء النساك العملية، أن نورد هذه اللمحات المبـدعـة عـن الـروح الـقدس لهذين اللاهوتيين، وهما القديسان ربيبا النساك واللذان تـتـلـمـذا على أيـديـهـم قـبل أن يتبوءا عرش الكرازة و يتسلما مسئولية الدفاع عن الإيمان المستقيم للكنيسة كلها، أثناسيوس على يدي أنطونيوس، وكيرلس على أيدي أبناء أنبا مقار.

أقوال للقديس أثناسيوس الرسولي

(من رسائل عن الروح القدس)(*):

[وعـنـدما كتب إلى أهل تسالونيكي قائلاً: «لا تطفئوا الروح» (غل٣: ٢)،

(*) عن كتاب «رسائل القديس أثناسيوس الرسولي عن الروح القدس» تعريب القس مرقس داود.

كان يتحدث إلى أشخاص يعرفون «**من**» **هو الذي قبلوه** ـ لئلا بسبب الإهمال يطفئوا نعمة **الروح الذي كان قد اشتعل في داخلهم**] ص١٢.

[ولكي يكمل لنا المسيح فيه (أي في الروح القدس) كل **معرفتنا بالله** و يضع طقس **الإنضمام للكنيسة** (المعمودية) والذي به (أي بالروح القدس) **اتحدنا بشخصه** (أي بشخص المسيح) **وبالآب...**] ص١٧.

[كما أن المسيح ابن حقيقي، فإننا **نصير أبناءً عندما نقبل الروح القدس.** «إذ لم تأخذوا روح العبودية أيضاً للخوف بل أخذتم روح التبني» (رو٨: ١٥). وإن كنا بالروح القدس قد صرنا أبناء، فواضح أننا في المسيح قد دُعينا أولاد الله «وأما كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله» (يو١: ١٢)] ص٥١.

[وعندما يعطي لنا الروح القدس (قال المخلص: اقبلوا الروح القدس ـ يو٢٠: ٢٢) يصبح الله فينا] ص٥١، ٥٢.

[الروح القدس هو **روح القداسة والتجديد**] ص٥٨.

[الروح القدس **يدعى** «**مسحة**» **وهو** «**الختم**»] ص٦٠.

[والذين يمسحون يقولون عندما ينالون المسحة «نحن رائحة المسيح الزكية» (٢كو٢: ١٥)، والختم له قالب المسيح الذي يختم، **والذين يُختمون (بالروح) يشتركون فيه إذ يتشكلون بشكله**، كما يقول الرسول «ياأولادي الذين أتمخض بكم أيضاً إلى أن يتصور المسيح فيكم» (غل٤: ١٩).

وهكذا إذ نُختم نصير بحق ـ كما يقول بطرس الرسول ـ «شركاء الطبيعة الإلهية» (٢بط١: ٤)] ص٦١، ٦٢.

[المسحة والختم الذي فينا لا ينتمي إلى طبيعة مخلوقة بل إلى طبيعة الإبن الذي يُتحدنا بالآب عن طريق **الروح القدس الذي فينا**] ص٦٢.

[إن كنا **بالإشتراك في الروح القدس نصبح «شركاء الطبيعة الإلهية»** (٢بط١: ٤)، فمن الجنون أن نقول أن الروح القدس له طبيعة مخلوقة... **لأن الذين فيهم الروح القدس، تصبح لهم الطبيعة الإلهية** على هذا الأساس.

وإن كان الروح القدس **يجعل الناس شركاء الطبيعة الإلهية**، فلا شك في أن طبيعته طبيعة إلهية] ص ٦٢، ٦٣.

[عندما يُقال إن **الروح القدس في إنسان**، فإن هذا يعني أن الكلمة حالٌّ فيه **مانحاً الروح القدس**] ص ٧٩.

[لأننا إذ تكون لنا شركة في الروح القدس، تكون لنا «**نعمة الكلمة**» وتكون لنا أيضاً محبة الآب في الكلمة] ص ١٠٦.

ومن كتابات القديس كيرلس الكبير

١ — [**(أ) الروح القدس هو الرباط الذي يربط أنفسنا بالآب والإبن.**

(ب) الروح القدس هو صورة الإبن، وهو حينما يطبع ذاته على أنفسنا، فهو يعيد خلقتنا لتكون على صورة الإبن الذي هو بالتالي على صورة الآب.

(جـ) الروح القدس هو القوة التقديسية في الثالوث، بحيث أن التقديس أو القداسة هي له صفة جوهرية، كما الأبوة للآب والبنوة للإبن](١).

٢ — [الروح القدس يؤلهنا عندما **يجعلنا مطابقين للإبن في بنوة مكتسبة، وهكذا يستعيد أو يسترجع عمل الآب فينا**](٢).

٣ — [(أ) وبما أن **الروح القدس يجعل الذين يسكن فيهم أبناء الله وشركاء في الطبيعة الإلهية**، لذلك فإننا باتحادنا بالله نصرخ بإيمان «يا أبا الآب»](٣).

[(ب) إن التجديد الذي نحصل عليه هو في الحقيقة من عمل الثالوث... حتى وعندما ننسب لكل أقنوم عملاً مما يحدث لنا أو للخليقة. ولكن علينا أن نؤمن

---

(1) *"La Sanctification d'après Sainte Cyrile d'Alex."*, J. Mahé., Revue d'histoire ecclesiast. 10 (1909), p. 480. Cited by St. Vladimir's Th. R. Q. 18/1/1974.

(2) *"El Sp. Sanct. Cyrile d'Alex."* J. Sagües, cited by St. Vladimir's Th. R. Q. 18/1/1974, ibid.

(3) Thesaurus XXXIII, P.G. 75. Cols. 569, 606, 749, 905, 1085, 1088, 1098, cited by St. Vladimir's Th. R. Q. 18/1/1974, ibid.

بالرغم من ذلك **أن كل شيء هو**من الآب بالإبن **في الروح القدس** (٤).

١ ــ سواء كان خلقة ما (٥).

٢ ــ أو دعوة للتلمذة (٦).

٣ ــ أو هبة عدم الموت (٧).

٤ ــ أو تقديس الحياة (٨).

٥ ــ أو كل ما يهبنا الله إياه من الصالحات (٩)].

٤ ــ [فالروح القدس **يرسله الآب للقديسين** بواسطة الإبن] (١٠).

٥ ــ [كل شيء إنما **يستعاد مجدداً** للآب بالإبن **في الروح القدس**] (١١).

٦ ــ [المسيح نفسه يحل بواسطة الروح القدس في من يعرفه و يربطه بواسطة نفسه بالقرابة الروحية مع الله الآب] (١٢).



---

(4) In Jo. Evang., X, P.G. 74, col. 336.

(5) Contra Julian III, P.G. 67, col. 649 & De Rect. Fid. P.G. 76, col. 1204.

(6) Adv. Nest., IV: P.G. 76, col. 108.

(7) In Jo. Evang., IX, P.G. 74, col. 280.

(8) De SS. Trinit., Dialog V, P.G. 75, col. 1000.

(9) De Rect. Fid., P.G. 76, col. 1272.

(10) Thesaurus, P.G. 75, col. 581.

(11) In Jo. Evang., XI, P.G. 74, col. 541.

(12) Ibid., col. 577, A.

العلاقة بين:

الـروح الـقـدس في اللاهـوت العـقـائـدي، والـروح الـقـدس في اللاهـوت الـنـسـكـي.

أهـم مـا نر يد أن نلفت إليه الأنظار في لاهوت كيرلس الكبير العقائدي بخصوص عمل الروح القدس داخل النفس البشر ية، الذي يعتبر بحق المدخل الأساسي للاهوت النسكي، هو ما تضمنته العبارة التي أكد عليها كمعيار أساسي في كل لاهوته:

[πάντα ἐστὶν παρὰ Πατρὸς δι᾽ Υἱοῦ ἐν Πνεύματι]

[كل شيء هومن الآب بالإبن في الروح القدس]

أي أن كـل مـا يحدث للنفس البشر ية هو حصيلة حتمية لعمل الثالوث المشترك. ولـكـن الـفـعـل المباشر للنفس الذي يتضمن كل عمل الآب والإبن، هو «**في الروح القدس**».

فـالـروح القدس لا يعمل من نفسه، كما يقول الكتاب: «لأنه لا يتكلم من نفسه بل كـل مـا يـسـمـع يتكلم به» (يو١٦: ١٣). ولكنه متخصص كلية في توصيل عمل الآب والإبن!!

فالروح القدس هو هو الذي يجعل المسيح وكل ما للمسيح من موت وقيامة وحياة، فينا ولنا مباشرة، ثم **هو هو** «**بالمسيح**» يجعلنا تحت أبوة الآب وسلطانه وحبه وتدبيره وكل عطاياه.

فـإذا كـانـت فـيـنـا عـلامـات وفـاعـلية موت المسيح الإرادي وقيامته دائساً الموت والـعـالم، وحـيـاته التي لا يشوبها الموت، فإن هذا يؤكد أن الروح القدس موجود وفعال فينا وأنه أكمل مشيئة الإبن تماماً.

كـذلـك فـإن كـانـت فينا دالة البنوة لله الآب في الصلاة الحارة المنطلقة التي يلهبها

الحب الإلهي الأبوي، فإن الضمير يصرخ في حرارة الإيمان والحب «ياأبّا.الآب» بلا هوادة، وهذا معناه أن الروح القدس موجود وفعال وأنه قد أكمل مشيئة الآب فينا.

فالمسيح قدم لنا الفداء والخلاص بسفك دمه، ولكن الروح القدس هو الذي يورثنا هذا الفداء والخلاص ويجعله بسهولة فائقة حقاً لنا ونصيباً، ولكنه لا يورثنا هذا الفداء والخلاص على وثيقة مكتوبة بل برش الضمير بدم المسيح، وغسل الجسد بالمعمودية، وفعل المسحة السرائري، بتأثير وواقعية حسية، حتى أن الضمير يحس و يشهد بهذا و يفرح به، ثم يثق بنتيجته أعظم من أية وثيقة مكتوبة «لنتقدم بقلب صادق في يقين الإيمان مرشوشة قلوبنا من ضمير شرير (الإعتراف والتناول) ومغتسلة أجسادنا بماء نقي، لنتمسك بإقرار الرجاء راسخاً لأن الذي وعد هو أمين» (عب ١٠: ٢٣).

ولكن حذار أن يتوهم أحد أن الروح القدس أو ثمار الروح القدس يمكن أن تُقتنى ببرنامج جهادات، أو يمكن أن تُرى أو تُعلن حسياً، لأن ثمار الروح القدس هي كطبيعته تماماً، غير منظورة، يُسمع صوتها ولكنك لا تعلم من أين تأتي ولا إلى أين تذهب، هي تُرى بالإيمان فقط وتُحَس بالإيمان فقط، إنما بيقين أشد من يقين الحواس الخمس مجتمعة معاً.

ولكن الروح القدس لا يكتفي **بهذا الفعل السرائري** الذي فيه ينقل لنا المسيح وكل ما للمسيح محبوساً في إحساس الضمير فقط، بل يسلط الروح القدس فعله السري في العقل فيعطيه مسحة عقلية أيضاً بواسطة الكلمة، فينيره. وهكذا يصير العقل شريكاً في إدراك عمل المسيح الذي مارسه الروح القدس داخل القلب والضمير. وهكذا يمسح الروح القدس **«العقل»** و**«الضمير»** معاً بمسحة روحية تحمل طابع وختم وصورة المسيح، «الذي فيه أيضاً أنتم إذ سمعتم كلمة الحق إنجيل خلاصكم، الذي فيه أيضاً إذ آمنتم خُتمتم بروح الموعد القدوس» (أف ١: ١٣).

كل هذا يعني أن المسيح وكل ما عمله المسيح من أجلنا يضطلع الروح القدس بتوريثه لنا في عمق أعماق كياننا الروحي الجديد، كختم ناري وصورة حية مطبوعة لا

تُمحى. ومن أجل هذا يُدعى الروح القدس هنا «**روح المسيح فينا**» (راجع غل ٤ : ٦).

ثم على نمط هذا العمل وهذه الصلة يورثنا الروح القدس علاقة الآب بالإبن، بصورة حية وفعالة في الضمير وفي العقل بأثر قوي أعظم مما تتركه النار في اللحم، حتى أننا نصرخ بملء اليقين والدالة ندعو الله الآب، بفم المسيح: «ياأبّا. الآب». وهنا يُدعى الروح القدس «**روح الآب فينا**» (راجع مت ١٠ : ٢٠)، الذي به نصير أبناءً للآب بالتبني، وإخوة للمسيح بالنعمة.

هذا ما يقصده القديس كيرلس من تعبيره اللاهوتي الجزل والعميق: [كل شيء هو من الآب بالإبن في الروح القدس]، حيث بدون الروح القدس تنقطع هذه الصلة المتسلسلة من الآب إلينا، فلا شيء يصلنا بالإبن ولا شيء يصلنا من الآب.

وهكذا بدون الروح القدس سنظل ضالين وتائهين عن محبة الآب ونعمة الإبن، فلا فداء ولا خلاص ولا تبني ولا دالة ولا أي رجاء...

وما يقصده القديس كيرلس في لاهوته العقائدي عندما كرر عشرات المرات تأكيده أن [كل شيء هو **من** الآب بالإبن **في** الروح القدس] هو بعينه ما سبق وأكده المسيح إنما بصورة أخرى حينما قال عن الروح القدس: «إنه **لا يتكلم من نفسه** بل كل ما يسمع يتكلم به، ويخبركم بأمور آتية. ذاك يمجدني لأنه **يأخذ مما لي ويخبركم (ويوصله لكم). كل ما للآب هو لي**، لهذا قلت إنه **يأخذ مما لي ويخبركم**» (يو١٦ : ١٣ــ ١٥).

وهذا يؤكد أن اهتمام الروح القدس الأساسي من نحونا وعمله الرسمي من جهة إقامته فينا، إنما هو محصور تماماً في تسليمنا وتوريثنا المسيح وكل ما عمله المسيح باسم الآب وبمشيئة الآب!!

* * *

هـذا المفـهـوم اللاهوتي العقائدي العميق الذي سجله اللاهوتيون للكنيسة، أدركه الآباء النساك بحسهم الروحي العميق، وخلصوا منه إلى أن الحصول على الروح القدس معـنـاه بلوغ غاية كل شيء، فهو روح الإيمان بالآب والإبن، وهو روح الرجاء بالحياة الأبـدية، وهو روح الحب الإلهي والدالة مع الله وكل مشيئة الآب والإبن. لذلك كان سعيـهم الحـار الملتهب وجهدهم ودموعهم وصومهم الليل والنهار لإقتناء الروح القدس والـتودد إلـيـه ــ كما سنـعـرضـه عـليك أيها القارىء من أقوالهم ــ أمراً يفوق الوصف والعقل، لأنهم تيقنوا أنه طالما لم يمتلىء المجاهد من الروح القدس، ويحس بعمله الداخلي مـن جـهـة الإحراق والتطهير، وغسل الضمير بالدم الإلهي، وانفتاح الذهن بمسحة النور الإلهـي، لمعـايـنـة نـور مجد المسيح والآب من خلال كلمة الإنجيل؛ فعبثاً يجاهد! لأن المقابل الحتمي لعدم الإمتلاء من الروح القدس هو البقاء في الخطيئة والحرمان من كل محبة الآب ونعمة الإبن الوحيد.

لـذلـك فـإن أوصـاف الـروح الـقـدس في الـلاهـوت الـنسكي من خلال تطبيقاته الـعـمـلـيـة في حـيـاة الآباء وأعمالهم وسلوكهم هو أعظم برهان لصدق أوصاف الروح القدس كما جاء في اللاهوت العقائدي المعتمد على النصوص الإنجيلية.

كـذلـك يـنـبـغـي أن نـعـي جـيـداً مـضـمـون وسبب أمر الرسول «امتلئوا بالروح» (أف ٥: ١٨)، كأمر نسكي قائم على أساس عقيدي. فهنا الوصية جاءت بصيغة الأمر بـالـرغـم من أنه عمل يفوق الإرادة و يعلو فوق كل محاولة أو جهد بشري. هذا يكشف عـن سر لاهـوتي هـو وجـود الـروح القدس في النفس البشرية السابق على الملء، فلأن الـروح الـقـدس حـاضر وموجود بفعل العماد وسر المسحة (الميرون)، أصبح من اللازم وعلى مـسـتـوى الأمر أن يعطى الروح الموجود فينا فرصة للملء، أو أن نهيىء له الحرية للـعـمـل بـلا عـائـق حتى المـلء!! علماً بأن الفعل «امتلئوا» كما جاء باليونانية هو في صيغة الأمر المبني للمجهول، بمعنى أن الروح هو الذي سيملأنا إذا أعطيناه الفرصة.

هكذا ننتقل دائماً من المنطوق النظري في اللاهوت العقائدي إلى التطبيق العملي في اللاهوت النسكي من جهة التعامل مع الروح القدس.

فاللاهوت العقائدي يقرر نظرياً أن الروح القدس هو فينا حتماً بسرَّي العماد المقدس والمسحة (الميرون)؛ ولكن تظل هذه الحقيقة كائنة بلا فعل ولا نحسها، وكأن الروح القدس بلا عمل ولا أثر، إلى أن يتدخل اللاهوت النسكي و يعطي الوصية «امتلئوا بالروح»، فنقع في الحال تحت التزام العمل باضرام هذه الموهبة بالجهاد النسكي وإخلاء العوائق أمام نار الروح القدس للتأجج!! وحينئذ نبدأ نحس بالروح وهو يغلي في صدورنا غلياناً.

هذا الإنتقال العجيب من مضمون اللاهوت النظري إلى فعالية اللاهوت النسكي يمكن وضعه كالآتى:

لأننا أخذنا الروح القدس بالميلاد من الماء والروح وبسر المسحة (الميرون) دون أن نشعر، أصبح يتحتم علينا أن نحيا به في ملء الوعي.

أو بصيغة أخرى:

لأن الروح القدس صار فينا بالسر حسب الإيمان والعقيدة، فنحن نؤمر أمراً من جهة الله بالإنجيل أن نمتلىء بالروح بالعمل. وهكذا فإن كل عطية من الله توهب لنا مجاناً بالإيمان تتحول فينا إلى التزام بعمل مكمل. وكل نعمة يتحتم أن تنشيء فينا نعمة أكثر حتى الملء.

هذا هو في الواقع منبع اللاهوت النسكي، أي أن الإيمان العقائدي بالروح هو السبب أو المصدر السري العميق المحسوس والموجود في النفس الذي جعل الآباء يسرعون في الركض في ميدان الفضيلة والجهاد للإمتلاء و يستحثوننا بإلحاح لا يهدأ أن نتبع هذا الإتجاه.

على أن الملء من الروح القدس مهما قطعنا فيه من شوط، لا يمكن أن يبلغ في شعورنا إلى الإحساس بالإكتفاء، لأن كل ملء ينشيء فينا توتراً جديداً وإحساساً بالنقص بسبب الفارق الدائم بين الملء في الحاضر والملء المعدّ لنا كما ينبغي في المستقبل. علماً بأنه بقدر الملء من الروح القدس بقدر الملء من المسيح، لأنه كلما

أفسحنا للروح القدس مكاناً في القلب والحياة كلما أفسح الروح القدس فينا مكاناً للمسيح!! وهكذا يُستعلن المسيح في قديسيه بقدر طاقة القديسين على الملء من الروح!! وذلك بتهيئة القلب ليكون منزلاً مريحاً لإقامة دائمة له.

لذلك كم هو ثمين، كم هو ضروري، كم هو جوهري لخلاصنا وفرحنا أن نتبع القديسين في منهجهم النسكي مدققين جداً في كل نصيحة وكل كلمة من جهة الإمتلاء من الروح القدس، ونتبع بوعي وغيرة واهتمام لا يهدأ نصيحة الرسول: «اسلكوا بالروح (القدس) فلا تكملوا شهوة الجسد... لأن الذين هم للمسيح قد صلبوا الجسد مع الأهواء والشهوات. فإن كنا نعيش بالروح فلنسلك أيضاً بحسب بالروح» (غل ٥: ١٦، ٢٤، ٢٥)، و« كل الذين ينقادون بروح الله فأولئك هم أبناء الله» (رو٨: ١٤). أي نُسلِّم كل الفكر، كل الإرادة، كل المشورة، كل العمل للروح القدس ليقود الحياة برمتها، ماضيها وحاضرها ومستقبلها، مستخدماً ضعفنا وقوتنا، نجاحنا وفشلنا، صحتنا ومرضنا، ليوجه كل شيء نحو الغرض الذي من أجله «مات المسيح عنا وقام»:

«امتلئوا بالروح»!!

عرضٌ لأقوال الآباء النُسَّاك

الفصل الأول

الروح القدس

في تعاليم القديسين أنبا أنطونيوس وأنبا مقار يوس

عـنـدمـا نـقـرأ رسائل القديس أنطونيوس وعظات القديس مقار يوس، ندرك عمق العلاقة العملية التي تربط النفس البشرية بالروح القدس، وذلك من جهة طبيعة النفس الجديدة التي تنالها بالمعمودية.

كذلك ندرك أهمية عمل الروح القدس داخل النفس في صراعها اليومي ضد طبيعتها القديمة وضد العدو.

وفي النهاية نكتشف من أقوالهم الغاية السعيدة التي تبلغها النفس بدوام تعهد الروح القدس لها، وكيف يختمها في النهاية بخاتم العهد و يعطيها ميثاق الروح.

وسوف نعرض لهذه النواحي الثلاث باختصار، وذلك من أقوال الآباء، مع تعليق بسيط، حتى لا يفوت القارىء عمق المعنى وجمال المقصد، عسى أن يلتقط شيئاً لحياته من إلهامات هؤلاء القديسين العظام.

أولاً: عمق العلاقة التي تربط النفس بالروح القدس

(أ) علاقة الروح القدس بالنفس البشرية على نمط علاقة الروح القدس بالشاروبيم والساروفيم:

نقدم هنا للقارىء بادىء ذي بدء ملخصاً لكل ما جاء عن الشاروبيم والساروفيم بحسب وصف الكتاب المقدس في سفري حزقيال وإشعياء وسفر رؤيا يوحنا اللاهوتي، ثم ما جاء عنهما في قداس القديس مرقس الرسول:

أولاً: الكاروبيم أو الشاروبيم: مفردها «كاروب»، وهم الأربعة الأحياء غير المتجسدين الذين رآهم حزقيال النبي في رؤياه [الأصحاح الأول كله، والثالث: ١٢، ١٣، ١٤، التاسع: ٣، والعاشر كله]:

١ ــ لكل واحد من الحيوانات الأربعة أربعة وجوه، وجه إنسان، ووجه أسد، ووجه ثور، ووجه نسر (حزقيال ١: ١٠).

أما البكرات فلكل واحدة أربعة أوجه: الوجه الأول وجه كروب (ثور)، والوجه الثاني وجه إنسان، والثالث وجه أسد، والرابع وجه نسر (حز١٠: ١٤).

ولكل واحد أربعة أجنحة (حز١٠: ٢١).

٢ ــ وشبه يد إنسان تحت أجنحتها، وهي متصلة ببعضها، وفيها روح (حز١٠: ٢١).

٣ ــ كل جسمها وظهورها وأيديها وأجنحتها والبكرات ملآنة عيوناً حواليها (حز١٠: ١٢).

٤ ــ وسُمع صوت أجنحة الكاروبيم كصوت الله القدير إذا تكلم (حز١٠: ٥).

٥ ــ منظرها كجمر نار متقدة كمنظر مصابيح، وللنار لمعان، ومن النار كان يخرج برق (حز١: ١٣).

٦ ــ وإلى حيث يسيِّرها «الروح» تسير، لأن «الروح» يسيِّرها حسبما يشاء (حز١: ٢٠).

٧ ــ وإذا وقفت أرخت أجنحتها (حز١: ٢٤).

٨ ــ وفوق المقبب الذي على رؤوسها شبه عرش بلون حجر العقيق الأزرق (حز١: ٢٦).

٩ـــ وعلى شبه العرش من فوق يجلس شبه إنسان (المسيح) منظره من حقويه إلى فوق كالنحاس اللامع المتقد بالنار، ومن حقويه إلى تحت كمنظر النار في وسط قوس القزح في اليوم المطير كمنظر شبه مجد الرب (حز١: ٢٦ـــ٢٨).
١٠ ـــ ولما رأيته خررت على وجهي!! (حز١: ٢٨).

ثانياً: الساروفيم: ومفردها ساروف (كلمة عبرية تعني الملتهب ناراً). وهم الأحياء غير المتجسدين الذين رآهم إشعياء النبي (الأصحاح ٦) وهم الواقفون حول الله من فوق:
١ ـــ لكل واحد منهم ستة أجنحة، بإثنين يغطي وجهه، و بإثنين يغطي رجليه، و بإثنين يطير.
٢ ـــ هذا ينادي ذاك و يقول: «**قدوس قدوس قدوس رب الجنود مجده ملء كل الأرض**».
٣ ـــ الساروفيم ليسوا متصلين ببعضهم، لأن كل ساروف يستطيع أن يطير بمفرده «فطار إليَّ واحد من الساروفيم و بيده جمرة أخذها بملقط من على المذبح ومسَّ بها فمي وقال إن هذه مسّت شفتيك فانتُزِع إثمك وكُفِّر عن خطيتك» (إش٦: ٦، ٧).

ثالثاً: الأربعة الأحياء غير المتجسدين كما جاء في سفر الرؤيا: وفي الواقع أن رؤيا يوحنا تجمع بين شاروبيم حزقيال النبي وساروفيم إشعياء النبي، سواء في وصف تكوينها أو في خدمتها. حيث يلاحظ القارىء أنها تظهر بمظهر الشاروبيم وتؤدي خدمة التقديس العظمى التي للساروفيم.

١ ـــ وفي وسط العرش وحول العرش أربعة حيوانات (الشاروبيم والساروفيم معاً).
٢ ـــ مملوءة عيوناً من قدام ومن وراء (صفة الشاروبيم).
٣ ـــ الحيوان الأول شبه أسد، والحيوان الثاني شبه ثور، والحيوان الثالث له وجه مثل وجه إنسان، والحيوان الرابع شبه نسر طائر (صفة كل كاروب).
٤ ـــ والأربعة حيوانات لكل واحد منها **ستة أجنحة** حولها، ومن الداخل مملوءة عيوناً (صفة الساروفيم).

٥ ــ ولا تزال نهاراً وليلاً قائلة قدوس قدوس قدوس الرب الإله القادر على كل شيء (الضابط الكل)، الذي كان والكائن والذي يأتي (وهذه خدمة الساروفيم).

رابعاً: الشاروبيم والساروفيم كما جاء في قداس القديس مرقس الرسول: وهنا تجمع الكنيسة بروح مار مرقس كل ما جاء عن الشاروبيم والساروفيم في حزقيال النبي وإشعياء النبي وسفر الرؤيا، حيث تقدم لنا الشاروبيم والساروفيم باعتبارهما إثنين عدداً.

[«حيواناك الكريمان جداً» ذوا الستة الأجنحة، والكثيرا الأعين، بجناحين يغطون وجوههم من أجل لاهوتك الذي لا يستطاع النظر إليه ولا التفكر فيه، و بإثنين يغطون أرجلهم، و يطيرون بإثنين.

والكل يقدسك على الدوام.

ولكن مع الكل الذي يقدسك اقبل تقديسنا منا **نحن أيضاً** يارب، إذ **نسبحك معهم** قائلين: قدوس قدوس قدوس رب الجنود السماء والأرض مملوءتان من مجدك المقدس...].

(القداس الكيرلسي).

وهكذا في نهاية هذا التسلسل الرؤيوي التقليدي الذي استغرق هذا الزمان كله منذ أيام إشعياء وحزقيال وحتى إلى القداس وسفر الرؤيا (بحسب التسلسل الزمني)، تنتهي هذه الرؤيا السرية العجيبة بهذا التطابق المدهش بين الخلائق السمائية المسبِّحة و بين الكنيسة ــ و بالتالي النفس البشرية ــ باعتبارها «مخلوقاً منوطاً به تسبيح الله» على غرار الشاروبيم والساروفيم، تماماً بل و بتوازي يكاد التطابق بينهما يجعل منهما صفين لخورس واحد، الواحد سمائي والآخر أرضي [اقبل تقديسنا منا **نحن أيضاً** يارب إذ **نسبحك معهم** قائلين (نفس التسبحة بحروفها) قدوس قدوس قدوس رب الجنود، السماء والأرض مملوءتان من مجدك المقدس].

هذا التطابق الوظيفي في العمل الروحي الفائق بين الشاروبيم والساروفيم و بين

النفس البشرية في تسبيح وتقديس الله، لا يقف في نظر الآباء النساك العظام وبالأخص القديس أنطونيوس والقديس مقاريوس الكبير عند محيط العمل الواحد فقط، بل يمتد بصورة عميقة وسرية للغاية ليشمل **تطابقاً في علاقة الروح القدس بين الشاروبيم والساروفيم والنفس البشرية من جهة الخلقة وتدرجها على الوجوه الأربعة.** فيرى القديس أنطونيوس أن النفس البشرية متدرجة في نموها الروحي وبفعل الروح القدس من الثور الذي يرمز إلى الإجتهاد، إلى الأسد الذي يرمز إلى النصرة على الأعداء، إلى النسر الذي يرمز إلى التسامي النهائي نحو أعلى السموات برفع الروح القدس (الرسالة ١٩ ــ ص ١١٧، ١١٨).

أما القديس مقاريوس فيرى أن نفس رؤيا حزقيال النبي كانت في حقيقتها ليست نهائية في حد ذاتها، بل كانت ترمز أساساً إلى خلقة النفس البشرية. كما يركز بصفة خاصة على العلاقة التي ظهرت بين روح الله والشاروبيم أنها ترمز إلى نوع العلاقة الكائنة الآن بين النفس البشرية والروح القدس. لذلك فنحن نعتبر أن العظة الأولى من العظات الخمسين التي للقديس مقاريوس والخاصة بتطبيق الأوصاف الخلقية التي للشاروبيم على النفس البشرية، من العظات الهامة جداً في اللاهوت النسكي.

يقول القديس مقاريوس:

[إن حزقيال النبي المبارك رأى من الله رؤيا جليلة... وهي رؤيا مشحونة بالأسرار الفائقة الوصف. الكاروبيم وهي أربعة حيوانات روحانية حية لكل منها أربعة وجوه مختلفة... **فهذا الذي رآه النبي بصحة الوجود كان حقاً أكيداً، ولكن الشيء الذي يدل عليه، أي الذي سبق فكان ظلاً له مقدماً هو شيء آخر، هو مادة سرية إلهية، وهو السر الذي كان مخفياً بالمعنى الحقيقي عن العصور والأجيال السالفة، وهذا ظهر عند مجيء المسيح، لأن السر الذي رآه هو النفس الحليمة لكونها ستقبل مولاها فيما بعد وتصير هي ذاتها كرسياً لمجده. لأن النفس التي تستحق أن تشترك في روح نوره وتستنير بحسن مجده الذي لا يوصف لكونه هيأها بهذا الروح**

لتكون مقراً له ومسكناً، تصير كلها نوراً وكلها وجهاً وكلها عيناً[1].
وليس فيها جزء إلا و يكون مملوءاً من أعين النور الروحانية، يعني ليس فيها جزء مظلم بل هي بكليتها تصير نوراً وروحاً وتمتلىء كلها عيوناً فلا يكون لها دبر (مؤخرة) ولا شيء من وراء (خلف) بل تظهر كلها وجهاً بحسن مجد نور المسيح الراكب والجالس عليها...

هكذا النفس التي تستنير بحسن المجد الذي لا يوصف، حسن مجد النور الذي لوجه المسيح، وتشترك في الروح القدس بالكمال، فتُحسب أهلاً لأن تكون مسكن الله وكرسيه، والمسيح نفسه قائدها وسائقها وحاملها وساندها يزينها بالجمال الروحاني، لأن الكتاب يقول: «و يد الإنسان من تحت الكاروب» أي المسيح الذي يركبها ويهديها طريقها... و يقودها بزمام الروح.

أما الأوجه الأربعة (الحيوانات الأربعة) أي النسر والأسد والثور والإنسان، فهي رمز لقوات النفس الناطقة.

أما أجسادنا فستكرم أيضاً في القيامة بعد أن تكون النفس قد تمجدت على الأرض وامتزجت بالروح القدس].

(العظة الأولى).

وقد يبدو تشبيه النفس البشرية بالشاروبيم، كما يقدمه القديس أنبا مقار، بسيطاً، ولكنه في الحقيقة عميق عمقاً بلا حدود. فالأمر غاية في الدقة والأهمية، لأنه يعتبر أن النفس البشرية خُلقت أصلاً لتكون على رتبة الشاروبيم، أي لتكون مسكناً وعرشاً لله ليستريح فيها الله، وفي نفس الوقت يلزم بالتالي أن تكون طيِّعة في حركتها تتحرك وفق مشيئة الله لتكميل مقاصده. وهذا إن كنا وجدناه في حالة الشاروبيم من جهة عمل روح الله، حيث كثرة الأعين في الشاروبيم ترمز إلى كثرة الإستنارة

(١) يقصد القديس أنبا مقار أن النفس تصير بشركتها في الروح القدس منيرة مثل الشاروبيم (كلها نور)، وتصير لها أعين كثيرة أي ملآنة أعيناً (كلها عيناً) كناية عن المعرفة والإستنارة، وتصير بدون مؤخرة مثل الشاروبيم أي لا شيء مخفي عن عينيها وعن الله مثل الشاروبيم (كلها وجهاً!!).

والمعرفة، واللمعان والنار يرمزان إلى حرارة الروح والغيرة المقدسة، والأجنحة ترمز إلى الخفة والقدرة على التسامي والإرتفاع، وتغطية الوجه بالجناحين ترمز إلى خشية الله ومخافته الكاملة، وتغطية الأرجل ترمز إلى التعفف والحشمة، ثم بعد ذلك كله فإن الحركة وتوجيهها في الشاروبيم هما من عمل روح الله كلية، و يد الإنسان التي تحت الكاروب إشارة إلى عمل المسيح. كل هذا نجده يتم حرفياً في النفس البشرية.

فلكي تصير النفس البشرية مسكناً وكرسياً لله، يتحتم أن تتقد بنار الروح القدس، لتصير قادرة بالفعل على كل عمل صالح، وتجسر على أعمال الإيمان والشهادة العالية، ثم يتحتم أن تنفتح بصيرة النفس انفتاحاً كاملاً لتدرك كل أمور الله ولا يخفى عليها شيء، بل تصير وكأنها كلها عين ونور. كذلك يتحتم أن تخفَّ النفس ولا تعود ترتبط بأمور الأرض، بل يكون لها مطلق الحرية أن ترتفع وتعيش في جو الروح بلا عائق، أي تصير وكأن لها أجنحة للطيران السريع الحاد؛ كذلك من جهة تغطية الوجه تعبيراً عن خشية النفس من الله التي هي بمثابة تغطية جزئية لئلا تنعمي البصيرة من بهاء مجد الله، كذلك من جهة تغطية الأرجل التي هي بمثابة العفة ومتطلباتها الدائمة مهما كان سمو النفس وارتفاعها.

وهكذا نرى أن للروح القدس عملاً في النفس البشرية غاية في الأهمية وغاية في الدقة، وهو عمل لابد أن يكون متكاملاً من كل الوجوه، وإلا فلا تتأهل النفس البشرية لسكنى الله أو احتماله، وهذا كله قد استوفاه القديس أنبا مقار على مدى الخمسين مقالة.

و يقيناً أن شرح القديس أنبا مقار لهذه العلاقة الصميمية الكائنة بين الشاروبيم والنفس البشرية وعمل الروح القدس فيها هو جدير بالدراسة الجادة، لأن التقليد الليتورجي ألزمنا بهذا حينما جعل تسبحة الشاروبيم في قمة صلاة الإفخارستيا، عندما وضع تسبحة الشاروبيم في فم الكنيسة قبل قراءة الإنجيل مباشرة (مواجهة حضور «الكلمة») وقبل الصلاة التأسيسية لتحويل الخبز والخمر إلى سر الجسد والدم (مواجهة حضور المسيح)، حيث ينبهنا الطقس إلى أن النفس البشرية قد صارت

بالفعل مؤهَّلة في هذه اللحظات لحمل المسيح، بطبيعتها الجديدة، ولتسبحة الشاروبيم بالدرجة الأولى باعتبارها حاملة للكلمة ولطبيعة اللاهوت، لكونها صارت مسكناً لله!!

ويبدأ القديس أنبا مقار يوضح علاقة النفس البشرية مع الروح القدس على أساس ما هو قائم بين الروح والكاروبيم في رؤيا حزقيال ١: ٢٠: «**وكان الروح في البكرات**» باعتبار أن رؤيا حزقيال عن الكاروبيم الحامل لعرش الله كانت رمزاً للنفس البشرية التي ستصير مسكناً لله.

يقول أنبا مقار:

[كذلك النفس التي تستنير بحُسن المجد الذي لا يوصف، حُسن مجد النور الذي لوجه المسيح، **وتشترك في الروح القدس** بالكمال وتُحسب أهلاً لتكون مسكناً لله وكرسياً له، حيث تصير كلها عيناً وكلها نوراً وكلها وجهاً وكلها مجداً وكلها روحاً. **والمسيح نفسه قائدها** وسائقها وحاملها وساندها، ويد الإنسان (المسيح) من تحت الكاروب يقودها بزمام الروح ويهديها في الطريق].

(العظة رقم ١٩).

[الرب يرسل **روحه الخفيف النشيط الصالح السماوي**، وبواسطته يخرج النفس التي غطست في مياه الإثم، **ويصيرها خفيفة ويرفعها على جناحه إلى أعلى السماء، ويغيّرها من طبيعتها الأصلية تغييراً كاملاً**].

(العظة ٤٤ ـــ ص٢٨٣).

وأيضاً:

[**كذلك النفوس المقدسة تنقاد وتهتدي في طريقها بروح المسيح إذ يرشدها إلى حيث يشاء.** فإن شاء، أقامت في التأملات السمائية؛ وإن شاء، لبثت في الجسد (الأعمال)؛ وإن شاء، لازمته في خدمته. لأنه كما أن أجنحة الطائر هي له بمنزلة الرجلين، كذلك **نور الروح السمائي يتخذ من الأفكار المناسبة أجنحة للنفس، ويهدي الطريق أمامها ويوجهها حيث يستحسن هو.**

فكلما سَمِعْتَ إذن هذه الأمور، افحص نفسك جيداً، إن كنت مالكاً إياها في روحك، فإن لم تكن مالكاً إياها بل تحتاج إلى مثل هذه الخبرات الروحانية العظيمة فسبيلك أن تكتئب وتحزن متلهفاً كمن هو منفصل عن الملكوت بالموت، وكمجروح أُصرخ إلى الرب واسأل بإيمان، ليصيِّرك حقاً أهلاً لهذه الحياة الحقانية].

(العظة الأولى — ص ١٤).

ويقول أنبا أنطونيوس:

[حركني الروح أن أكتب لكم عن الشاروبيم الذي نظره حزقيال النبي **الذي هو مثال لنفوس المؤمنين الذين يجاهدون وينالون الكمال.** هذا له أربعة أجنحة وهي مملوءة عيوناً، وله أيضاً أربعة وجوه ناظرة إلى الجهات الأربع...

فاعلموا إذن أن الوجه الأول من الشاروبيم، وهو وجه الإنسان، **رمز للمؤمنين** الذين في العالم العاملين بما يختص بهم من وصايا.

فإذا خرج أحد أولئك إلى شكل الرهبنة، فقد تشبَّه بوجه الثور، لأنه **يعمل ويجتهد في الوصايا** التي للرهبنة **والقتال المحسوس.**

فإذا كمَّل الجميع على ترتيبه، وخرج وسكن البرية، وتفرد في الوحدة **لقتال الشياطين غير المنظورين،** فقد تشبَّه بوجه الأسد الذي هو سلطان الوحوش البرية.

فإذا غلب الأعداء غير المنظورين وتسلط على الأوجاع وملَكَها، فإنه يرتفع بالروح القدس وينظر للمناظر الإلهية ويتشبه بوجه النسر ويتم عليه المكتوب: «يتجدد شبابك مثل النسر»، ويكون عقله حينئذ يفرز ما يأتيه من ستة جهاته. **فيتشبه بتلك الأجنحة الأربعة المملوءة عيوناً ويصير شاروبيماً روحانياً].**

(الرسالة ١٩ — ص ١١٧، ١١٨، ١١٩).

وهنا ننبه ذهن القارىء إلى أن هؤلاء الآباء العظام لا يشبِّهون نسبة الروح القدس للنفس بما هو حادث في الشاروبيم، بل يؤكدون **أن النفس البشرية أصبحت هي**

الشاروبيم الجديد في العهد الجديد، وذلك بسبب سكنى الروح القدس وقيادته الإلهية للنفس السعيدة: «أنتم هيكل الله وروح الله يسكن فيكم» (١ كو٣: ١٦). لذلك نجدهم يلحُّون إلحاحاً شديداً علينا أن نجتهد غاية الجهد للحصول على فاعلية الروح القدس وحرارته وقيادته لحياتنا باعتبار أن هذا يحدد تحديداً قاطعاً إن كنا نصلح أن نكون هيكلاً لله وروح الله يسكن فينا.

(ب) علاقة الروح القدس بالنفس، على أساس الطبيعة النارية التي للروح القدس:

أولاً — وهنا يشرح الآباء كيف أن هذه الطبيعة النارية تستمد النفس منها، بالإتحاد والعشرة، قدرة على الإرتفاع نحو الله، **فتصير طبيعة الروح القدس النارية بمثابة أجنحة روحانية غير منظورة للنفس، تمنحها قدرات وكفاءات جديدة للسمو بالحياة كلها.**

ثانياً — هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن **هذه الطبيعة النارية التي للروح القدس، المعبَّر عنها في الكتاب: «إلهنا نارآ كلة»** (عب١٢: ٢٩)، **متى دخلت النفس وتفاعلت معها واشتعلت النفس بها، فإنها تصبح طبيعة جديدة للنفس البشرية، طبيعة حارقة للأفكار الشريرة بل وحارقة للشياطين أنفسهم. هذا الذي نسمع عنه في قصص بعض الآباء كيف كانت صلواتهم من القوة لدرجة أنها كانت تحرق الشياطين فيصيروا أمامهم بشبه الدخان.**

١ — يقول أنبا أنطونيوس:

[وتشبه النفس التي تسكنها نار الله وحرارة الأعمال الصالحة التي اشتعل بها قلبها، تشبه طيراً ذا جناحين يطير بهما مرتفعاً في السماء، **فأجنحة النفس المتعبدة لله هي قوة نار الله التي تطير بها النفس إلى العُلا. فإذا عدمت هذه النار، لا يصير لها استطاعة للإرتفاع، كالطير الذي نُزع جناحه!! فلا تدعوا قوة هذه النار تُنزع منكم، لأن حروباً كثيرة كائنة لكم من**

الشيطان لأجل هذه النار المعطاة لكم من الرب لكي ينزعها منكم. لأنه يعلم أنه لا قدرة له عليكم ما دامت نار الله فيكم... لهذا يقاوم بشدة النفوس المتعبدة لله عبادة حسنة بأوجاع كثيرة يلقيها في النفس ليطفىء هذه النار التي هي قوام كل فضيلة. فإذا انغلب الشيطان وارتد خائباً فإن روح الله يسكن فيهم، وإذا سكن الروح القدس فيهم يريحهم من جميع أعمالهم (جهاداتهم ضد الخطيئة)، ويجعل نير الله حلواً لديهم جداً، ويجعل فرح الله فيهم نهاراً وليلاً، و يربي عقولهم و يغذيها!!].

(الرسالة الثامنة عشر).

[**بذلك الروح الناري العظيم، هذا الذي قبلته أنا لتقبلوه أنتم أيضاً. وإذا أردتم أن تقبلوه و يسكن فيكم فقدموا أولاً أتعاب الجسد وتواضع القلب، وارفعوا أفكاركم إلى السماء في الليل والنهار، واطلبوا باستقامة قلب هذا الروح الناري، وحينئذ يعطَى لكم،** لأنه هكذا وصل إليه إيليا التسبيتي وإليشع وكافة الأنبياء. ولا تفكروا في قلوبكم وتكونوا ذوي قلبين وتقولوا من يقدر أن يقبل هذا؟ لا ياأولادي، لا تدعوا هذه الأفكار تأتي على قلوبكم، **بل اطلبوا باستقامة قلب وأنتم تقبلونه. وأنا أيضاً أبوكم اجتهد معكم وأطلب لأجلكم أن تقبلوه**، لأني عارف أنكم كاملون وقادرون على قبوله، لأن كل من يفلّح ذاته بهذه الفلاحة فإن الروح يُعطَى له في كل جيل وإلى الأبد. وأنا أعرف أن أناساً قبلوه، ولما لم يكمّلوا هذه الفلاحة لم يثبت فيهم. فأما أنتم ياأحبائي الذين أشتهي أن أنظركم لأجل استقامة عقولكم، **أديموا الطلبة باجتهاد من كل قلوبكم فإنه يُعطَى لكم**، لأن ذاك الروح يسكن في القلوب المستقيمة. وإذا قبلتموه فإنه يكشف لكم الأسرار العلوية وأشياء أخرى لا أستطيع أن أعبّر عنها في قرطاس بقلم ومداد...].

[**وأما أنا فطلبتي الآن ليلاً ونهاراً ليكون فيكم عظمة ولذة هذا الروح الذي قد قبله جميع الأطهار.** وإني ياأولادي الأحباء بعد أن كتبت هذه الرسالة **تَحرَّك فيَّ روح الله** أن أكتب لكم عن هذا الروح الناري في آخرها

وعن المحبة الإلهية. وإذا أتيت إليكم بمعونة الرب، **عرّفتكم أشياء أخرى كثيرة عن هذا الروح لكي تقتنوها جميعها**. وكما أقريتكم السلام في مبدأ هذه الرسالة كذلك أيضاً أقريكم السلام بمحبة الرب في آخرها **بهذا الروح الناري الذي قبلته أنا وإياكم بنعمة الرب. وأطلب إليكم أن تتركوا إرادتكم الحسية وتلزموا الهدوء بكل نوع، لكيما تسكن عندكم القوات العلوية بمؤازرة هذا الروح القدس** وتعينكم على العمل بإرادة الثالوث الأقدس الآب والإبن والروح القدس. له السبح دائماً سرمدياً إلى أبد الآبدين آمين].

(الرسالة الثامنة ــ ص ٥٠، ٥٢).

٢ ــ و يقول أنبا مقار:

[**النفس إذا كان لها إقامة في شركة الروح القدس فإن طول إقامتها في نار الروح ونوره الإلهي يحصنها** ضد أي مضرة من أي روح شرير، لأنه إذا اقترب من النفس فإنه يحترق بنار الروح السمائي].

(العظة ٣٠ ــ ص ٢٣٣).

[الرب يرسل **روحه الخفيف النشيط الصالح السماوي** و بواسطته يخرج النفس التي غطست في مياه الإثم و يصيِّرها خفيفة، و يرفعها على جناحه إلى أعلى السماء **و يغيِّرها من طبيعتها الأصلية تغييراً كاملاً**].

(العظة ٤٤ ــ ص ٢٣٣).

و يقول أنبا أنطونيوس:

[اجعلوا هذا الجسد الذي أنتم لابسونه مجمرة ترفعون فيها جميع أفكاركم ومشوراتكم الرديئة وتضعونها أمام الرب ليرفع قلوبكم إليه، و بسلطة العقل تطلبون منه أن **ينعم عليكم بإتيان ناره غير الهيولانية من العلا إليكم لتحرق كل ما في تلك المجمرة وتطهرها**].

(الرسالة السادسة ــ ص ٣٧).

(جـ) علاقة الروح القدس بالنفس من جهة تغلغله داخل جوهر النفس، وتأثيره المباشر على الأفكار، ثم تأثيره غير المباشر على الجسد.

يقول أنبا مقار:

[ريح الروح القدس الذي **ينسم على النفوس و ينعش** الذين هم في النور الإلهي، **و ينفذ في جوهر النفس كله وأفكارها**، وكذلك **يروّح و يرطّب أعضاء الجسد** براحة إلهية لا توصف].

(العظة الثانية ـــ ص ٢٠).

(د) علاقة الروح القدس بالنفس علاقة التحام سري فائق الوصف.

فبالرغم من الإختلاف الكلي بين طبيعة الروح القدس وطبيعة النفس، إلا أنه يلتحم بها كخيوط النسيج المتداخلة من صنفين، والتي ترى وكأنها نسيج واحد متحد ملتحم له صفة الأقوى! هكذا يدخل الروح القدس داخل النفس، فيلاشي ما هو أضعف فيها و يعطيها الأقوى مما له.

يقول أنبا مقار:

[هذا معناه أن **النفوس التي تطلب ما ليس من طبيعتها، أي تقديس الروح،** فإن هواها كله يتعلق بالرب، إليه تسعى وتصلي، و به تنشغل أفكارها راذلة كل ما عداه. **لذلك تُحسب تلك النفوس أهلاً لنيل زيت النعمة السمائية.** وأما النفوس التي تبقى على طبيعتها، فإنها تهبط بأفكارها إلى الأرض، و بالأرض يكون همها وتصرفها، وتظن أنها تختص بالعريس فتتزين ببر الجسد، والحقيقة أنها غير مولودة من الروح من فوق كونها لم تنل دهن البهجة... **لذلك لا تقدر أن تنشغل بالحكمة الصالحة التي للروح، التي هي غريبة أصلاً عن طبيعتنا، أعني النعمة السمائية التي يلزم أن تكون ممزوجة في جبلتنا كالسُدّة مع اللحمة،** لنقدر أن ندخل سوياً مع الرب إلى العرس السمائي وننال الخلاص الأبدي].

(العظة الرابعة ـــ ص ٢٩، ٣٠).

(هـ) علاقة الروح القدس بالنفس، وما ينشأ من دوام مواجهة النفس للقوة المؤثرة الفعالة للروح القدس وخصوصاً من جهة قساوة النفس البشرية وتصلُّبها، بسبب الجهل الناشيء من الخطية والتعدي؛ وتشبيه ذلك بانصهار الحديد عند تعرُّضه لنار شديدة ولمدة طويلة.

ثم كشف مدى التغير الكامل الذي يصيب الشخصية برمتها بعد أن يصيب الأعضاء عضواً عضواً.

يقول أنبا مقار:

[فكما أن الحديد إذا أُلقي في النار يتحول عنه الجوهر اليابس الذي لطبيعته ويصير ليِّناً بقدر مقامه في النار، كذلك النفس التي تنكر العالم وتعلق شوقها بالرب بالتفتيش الكثير والكد والجهاد، وتنتظره انتظاراً دائماً بالإيمان والرجاء **حتى تنال النار السمائية ومحبة الروح؛ حينئذ تنفك من محبة العالم وتفلت من كل فساد الأهواء، وتتغير طبيعتها من يبوسة الخطيئة** وتخضع للعريس السمائي بحب شديد لا يوصف].

(العظة الرابعة ــ ص ٣٤).

[النعمة حينما يلمحها الإنسان من على بُعْد، يفرح بها، **ولكن حينما تدخله القوة الإلهية وتمسك أعضاءه كلها وتستأسر قلبه ولُبَّه لمحبة الله، فإنه يتغيَّر ويصير شخصاً آخر**].

(العظة السابعة ــ ص ٥٩).

(و) علاقة الروح القدس بالنفس علاقة ثبوت ونمو كعلاقة الشجرة الناضجة بالتربة الجيدة على مجرى الماء، فهي علاقة قوية غير منظورة إلا من جهة نتائجها وثمارها العجيبة.

يقول أنبا مقار:

[إن كان أحد ليست **نعمة الله مغروسة فيه وثابتة فيه، حتى تصبح ماسكة** بنفسه **ليلاً ونهاراً كأنها طبيعة ثانية،** تهديه وتحثه وترشده إلى الأمور الصالحة؛

فعلى الأقل يلزمه التدقيق والخوف والإجتهاد والندم].

(العظة ١٦ــص١٣٦).

(ز) العلاقة بين الروح القدس والنفس حينما تبلغ إلى مستوى الخضوع والألفة الكاملة، تكون كمحصلة طفل صغير عاجز محمول على ذراع رجل حكيم يسير به حسبما يرى و يشاء. وهكذا يصبح للطفل ــ أي للنفس العاجزة ــ قدرات وإمكانيات ومواهب الروح القدس، وكأنها لها خاصة. كما يلغي الروح القدس كل ما يشاء من عجز النفس، و يصححها كما يريد.

يقول أنبا مقار:

[**وهذه الأشياء تتم في النفس بفعل الروح وكأنها ناشئة من الطبيعة نشوءاً خالصاً،** كمثل طفل على ذراع رجل يحمله حيث يشاء، **هكذا النعمة تعمل في النفس، تحمل العقل وترفعه إلى السموات وإلى الراحة الأبدية].**

(العظة ١٦ــص١٤٠).

[ليس ممكناً للنفس أن تعبر من ذاتها من بحر الخطية المرّ وتجوز هوّة قوات الظلمة الصعبة، إلا إذا نالت روح المسيح اللطيف السمائي، الذي يمكنه أن يعبر بها وسط قوات الشر؛ **فإنه بواسطة هذا الروح يمكنها أن تصل إلى ميناء الراحة السمائية].**

(العظة ٤٤ــص٢٨٣).

(ح) العلاقة بين الروح القدس والنفس في حالة سكنى الروح الدائم هي بمثابة حصول النفس على أعظم كنز للخيرات السمائية، فتصير في أوج الغنى وكأنها استؤمنت على كل ما لله، تأخذ وتعطي بلا حساب. أما بدون الروح القدس فالنفس مهما حاولت التظاهر بالغنى، فهي الشقية والبائسة والفقيرة والعريانة، تتحدث عن الغنى وهي تتضور جوعاً، وتبشر بالسعادة وهي في البؤس تقيم، وتتباهى بالحلل النورانية وعريها منظور لدى كل السمائيين.

يقول القديس أنبا مقار:

[الذين من الله يطلبون فيجدون كنز الروح القدس السماوي، يضيء الله قلوبهم فيكملون بر الفضائل وغاية الصلاح الذي في وصايا الرب... بمساعدة غنى النعمة غير المنظور فيهم. من أجل هذا يقول الرسول «لنا هذا الكنز في أوان من الخزف» (٢كو٤: ٧). أي لما كانوا في الجسد حُسبوا أهلاً لأن يمتلكوا في باطنهم قوة الله المقدسة (أف٣: ١٦). **فكل من امتلك هذا الكنز السماوي وامتلكه في باطنه، أي كنز الروح القدس، فإنه يصير قادراً أن يكمّل في روحه (مت٣: ١٥) بر الوصايا وعمل الفضائل، بنقاوة وبدون عيب وبلا اغتصاب أو صعوبة.** فلنتوسل إلى الله ونطلب منه باجتهاد ونتضرع بانسكاب لكي يهبنا مجاناً كنز روحه القدوس، لكي بذلك نستطيع أن نسير في جميع وصاياه بدون لوم ولا عيب ونكمل بر الروح].

(العظة ١٨ ــ ص١٥٢).

[المسكين العريان الفقير يهلك من الجوع إذ ليس له ما يبتاعه، أما من كان ذا خزائن وأموال فإنه بسهولة وبلا تعب يتسلط على أي شيء يمتلكه ــ كذلك النفس العريانة المحرومة من شركة الروح القدس، تكون في شدة الخطية القاسية، ومهما حاولت فإنها لا تثمر ثمرة واحدة من ثمار بر الروح بالحق، **إلا إذا حصلت أولاً على شركة هذا الروح ذاته...**].

(العظة ١٨ ــ ص١٥٣).

[لذلك يجب على كل واحد أن **يغصب نفسه على التوسل إلى الله لكي يُحسب أهلاً لنوال كنز الروح القدس السماوي**، حتى يقدر أن يتمم وصايا الرب بطهارة بلا تعب أو صعوبة أو عيب، **الأمر الذي لا يمكنه أن يتممه بدون كنز الروح حتى ولو بالإغتصاب، لأن النفس إذا كانت محرومة من شركة الروح القدس، كيف تقدر أن تحصل على أعمال وغنى الروح؟**].

(العظة ١٨ ــ ص١٥٣).

[الإنسان الغني عندما يريد أن يصنع وليمة فاخرة لضيوفه، يأخذ الأموال من

خزائنـه و يـعدُّ لضيوفه بالعز والفخر؛ أما الفقير فإنه إن أراد ذلك، يستعير كل شيء حتى المائدة والأواني، فإذا انتهت الوليمة يرد لكل إنسان ما اقترضه منه و يعود فقيراً كما كان... **هكذا الأغنياء بالروح القدس الذين عندهم الغنى السماوي وشركة الروح مع نفوسهم،** إذا تكلموا بكلام الحق و وعظوا الآخرين بالأقوال الروحانية، فإنما يصدر هذا من ذخيرتهم الروحية التي حصلوا عليها، **ولا يخشون الضلال، لأنهم حائزون على الكنز السماوي الذي منه يُخرجون الصلاح و يُعزُّون بالروح، و يُحيون نفوس سامعيهم «وكلامي وكرازتي لم يكونا بكلام الحكمة الإنسانية المقنع بل ببرهان الروح والقوة»** (١كو٢: ٤)؛ أما الفقير الذي لا يملك غنى المسيح، ولم تمتلك نفسه الكنز الروحاني الذي ينبع الصلاح بالأقوال والأعمال والأفكار والأسرار الروحانية التي لا توصف؛ فإذا شاء هذا أن ينطق بالحق ليعزي سامعيه، وهو لم ينل قوة كلمة الله ولا امتلك الحق في باطنه، فإن يقتبس آيات من الكتاب المقدس أو مما سمعه من الروحانيين يتذكرها و يرويها و يعلّم بها، فيظهر وكأنه يعزّي سامعيه وهم ينتفعون مما ينطق به، ولكنه حينما ينتهي مما يرو يه (نقلاً عن الآخرين) يعود هو إلى فقره وعُريه (جا١٢: ٧). هذا لأن ليس له كنز الروح كاقتناء يقتنيه لنفسه حتى يأخذ منه و ينفع ويحيي الآخرين، **لأنه هو لم يحيا أولاً ولا قبل الروح القدس وابتهج به!**].

[هذا يوجب علينا أن نطلب من الله باجتهاد قلب وإيمان، **حتى يهبنا أن نجد في قلوبنا هذا الغنى، أي كنز المسيح، بقوة الروح القدس وفاعليته،** حتى إذا قبلنا نحن منه أولاً ما هو لفائدتنا أي الخلاص والحياة الأبدية والرب نفسه، حينئذ نستطيع أن نفيد غيرنا (لو٢٢: ٣٢)].

(العظة ١٨ ــ ص١٥٢ ــ ١٥٥).

[وأخص كل شيء هو المداومة في الصلاة، ولكن يوجد أمر ضروري وهو أن **يحصل الإنسان على كنز حياته في نفسه وفي عقله، وهو الرب، حتى إذا كان يشتغل أو يصلي أو يقرأ يكون حاصلاً على ذاك الذي لا يزول وهو**

الروح القدس].

(العظة الثالثة ــ ص ٢٣).

(ط) العلاقة بين الروح القدس والنفس من كثرة الإلتحام ودوام فاعلية الروح في النفس، وهي تشبه الحجر المسامي، لما يتشبع بالماء و يتخلله الماء باستمرار ويحيط به من كل الجهات، فإن الماء يخرج منه وكأن الحجر صار ينبوع ماء؛ هكذا النفس الصلفة الجافة الجامدة تصير بدوام فعل الروح القدس ينبوعاً تجري منه أنهار ماء حي!!

يقول أنبا مقار:

[وهكذا ليس لفاعلية الروح القدس في النفس انقطاع، بل من فعل إلى فعل، حتى تصل النفس إلى كمال الروح و يتم تطهيرها من أهوائها الفاسدة وتتحد بالروح المعزي بألفة لا توصف، وتختلط بالروح تماماً، وتُحسب النفس أهلاً لأن تصير روحانية في ذاتها بهذا الإختلاط. وكالحجر في وسط المياه، هكذا **هذه النفوس تصير مغمورة بالروح القدس متشبهة بالمسيح نفسه،** حيث تكون حاصلة في باطنها على فضائل قوة الروح بلا تغيير و بلا عيب من داخل ومن خارج، لأن الروح يكون قد أتى بهم إلى الكمال].

(العظة ١٨ ــ ص١٥٧، ١٥٨).

(ي) العلاقة بين الروح القدس والنفس، علاقة تحننية فائقة العطف.

فالروح القدس وهو القداسة والنور والمجد لا يطيق أن يبقى بلا عمل إزاء النفس العارية المفضوحة بنجاساتها وظلمتها وخزيها وعارها، فهو إذ يحتويها يغطيها بمجده وقداسته الفائقة، وهكذا تلبس النفس النور والمجد الإلهي والبهاء والقداسة والبر، إذ تلبس الروح القدس. ولكن كل هذا على أساس شرط غاية في الأهمية، وهو أن تدرك النفس أنها هي الشقية والبائسة والفقيرة والعريانة فعلاً، وتطلب من جرّاء خشيتها العظمى لله أن يغطيها برحمته!!

يقول أنبا مقار:

[إن كان أحد عرياناً من **الملابس الإلهية السمائية التي هي قوة الروح القدس**، كما قال بولس الرسول: «إن كان أحد ليس فيه روح المسيح فهو ليس من خاصته» (رو٨: ٩)، فعليه أن يبكي و يتوسل إلى الرب حتى ينال الثوب الروحاني الذي من السماء و يأخذ غطاءً لنفسه العارية، العارية عن القوة الإلهية، **لأن كل من هو غير مكسي بكساء الروح القدس فهو مكسو بالعيب، عيب الشهوات الدنية.**

إن كان أحد يوجد عرياناً في وسط الناس، يحل به خزي عظيم وفضيحة، ويهرب منه حتى أصدقاؤه وأقاربه، **كذلك ينصرف الله عن النفوس غير المكسية بلباس الروح القدس، كونها لم تلبس الرب يسوع في ملء ثقة الإيمان بالقوة والحق.**

الإنسان الأول لما رأى نفسه عرياناً خجل، فما أعظم فضيحة العري الجسدي، ثم كم بالحري تكون النفس العارية عن القوة الإلهية، التي لم تكتسِ بعد بلباسها الأبدي الروحاني غير الموصوف، الرب يسوع، بل تظل في شهوتها الفاضحة.

كل من كان عرياناً غير مكتسي بالمجد الإلهي، عليه أن يستحي و يقر بفضيحته، كما استحى آدم من عري جسده، حتى و بعد أن ستر نفسه بورق التين، فلم يزل خجله يلازمه، لعلمه بفقره وعريه الحقيقي (إلى أن جاءه المسيح)، هكذا فلتطلب النفس من المسيح حتى يكسوها بمجده، دون أن تحاول أن تعمل لنفسها غطاءً مزيفاً من أعمال برها، مدّعية أن عليها لباس الخلاص (إش٦١: ١٠)، لأن من استند على برّه دون برّ الله (رو١٠: ٣، ٤)، أي المسيح الذي صار لنا من الله براً وخلاصاً وفداء (١كو١: ٣٠)، فإن برّه (الذي يستتر به) يصير في اليوم الأخير ظاهراً كخرقة دنسة (إش٦٤: ٦)].

(العظة ٢٠ـــص١٦٥ـــ١٦٧).

[إذا بقيت الطبيعة البشرية عريانة بذاتها **ولم تقبل عشرة الطبيعة الإلهية والإمتزاج بها**، فإنها تبقى ذليلة ولا يستقيم حالها أبداً، لأن النفس دُعيت لتكون **هيكلاً** لله وبيتاً له وعروساً... **فإذا قبلت نفسك الروح السمائي وعاشرته، ودخل هو إلى نفسك، فحينئذ تصير رجلاً كاملاً لله وإبناً وارثاً**].

(العظة ٣٢ــص٢٤٣، ٢٤٤).

[يقول الرسول (٢كو٥: ٣): «إن كنا لابسين فلا نوجد عراة»، **يعني لا نوجد مجردين من شركة الروح القدس وعشرته**، الذي فيه وحده تجد النفس المؤمنة راحتها. ولأجل هذا يتشجع المسيحيون العائشون بالحق والقوة و يفرحون عند خروجهم من الجسد، لأن لهم **هذا البيت الذي لم تصنعه أيدي، وهو قوة الروح الساكن فيهم**، فإذا نُقض بيت الجسد، لا يخافون، لأن لهم **البيت السماوي، بيت الروح** والمجد الذي لا يفسد].

(العظة الخامسةــص٤٨، ٤٩).

(ك) العلاقة بين الروح القدس والنفس، لا تبلغ إلى مستوى اللبس فحسب، بل إن الروح القدس وهو اللؤلؤة الكثيرة الثمن يهب ذاته للنفس البشرية، فتبدو النفس، وهي متكللة بالروح القدس، وكأنها حاملة لعلامة وختم الملوكية، فتُحسب من ذرية الملك السمائي.

يقول القديس أنبا مقار:

[اللؤلؤة التي في تاج الملوك ليس لأحد غير الملك أن يتقلدها، **كذلك الإنسان إن لم يولد من الروح القدس الملك السمائي فيصير من الذرية السماوية الملوكية** (أي إبناً للملكوت) وإبناً لله، فلا يقدر أن يلبس هذه اللؤلؤة السمائية الكثيرة الثمن، أي الرب. أما الذين أُعطوا سلطاناً أن يصيروا أولاد الله، فهؤلاء عندهم اللؤلؤة يلبسونها، ويحيون، ويملكون مع المسيح إلى الأبد، كما قال الرسول: «لأنه هكذا كما لبسنا صورة الأرضي نلبس أيضاً صورة السماوي»

(١ كو١٥: ٤٩)].

(العظة ٢٣ — ص ١٧٤).

(ل) العلاقة بين الروح القدس والنفس، علاقة تطهير عميق وفعّال كالملح المعقِّم بالنسبة للحم الطري. وهذا الفعل العميق والسري ألمح الله إليه لما طالب في الناموس قديماً أن تملَّح كل ذبيحة بملح، حتى تصير مقبولة أمام الله.

وقد نبَّه الرب يسوع كثيراً إلى معنى الملح الروحي. لعلنا ندرك معناه على المستوى النسكي والعملي.

يقول أنبا مقار:

[إن كان أحد عنده كمية من اللحم وتغافل عنها ولم يضع فيها ملحاً، فلابد أنها تنتن، كذلك الطبيعة البشرية فهي بمثابة اللحم، أما الملح فهو الطبيعة الإلهية التي للروح القدس؛ فإذا لم يُخلط الطبيعة البشرية بملح اللاهوت الصالح المقدس، فلا يمكن للنفس البشرية أن تخلو من عفونة الخطية... أما بدون مساعدة الروح القدس فمهما جاهدت النفس فإنها تضل ضلالاً عظيماً، لأن مثل هذه النفس لا تكون أصلاً أهلاً للأماكن السمائية، أي الملكوت (يو١٤: ٢، أف٢: ٦)].

(العظة ٢٤ — ص١٧٨، ١٧٩).

[فمن حيث كان الرسل **في نفوسهم أنواراً** أعطوا النور لكل المؤمنين، **فأناروا قلوب الناس بنور الروح السماوي، ذلك الذي هم أنفسهم كانوا مستنيرين به. وكما كانوا ملحاً في ذواتهم، كذلك كانوا يملِّحون كل نفس مؤمنة بملح الروح القدس،** كانوا يملحون نفوس البشر من داخل بملح الروح، فيصلحونها و يثبتونها و يطيبونها من رائحتها العفنة. فكما أن اللحم إذا لم يملَّح يفسد ويمتلىء عفناً و يعيش الدود على نتانته، كذلك **كل نفس لا تُصلَح بالروح القدس ولا تملَّح بالملح السماوي — أي قوة الله — تنقلب حالاً إلى**

عفونة و يسكنها نتن الأفكار الشريرة. والدود اللعين الشرير — أي أرواح النجاسة — ترتع فيها، «قد انتنّت وقاحت جراحاتي» (مز٣٨: ٥). ولكن إذا فرت النفس إلى الله وآمنت وطلبت ملح الحياة أي الروح المحب الصالح، فحينئذ الملح السماوي يميت لوقته الدود الكريه و ينزع النتانة و يطهرها بقوته... لأنه هكذا حدد الله في الناموس قديماً على سبيل المجاز أن تُملّح كل ذبيحة بملح (لا ٢: ١٣)].

(العظة الأولى — ص١٠).

(م) العلاقة بين الروح القدس والنفس، هي علاقة النور بالظلمة. والنور هو الذي يأتي دائماً إلى الظلمة، الروح القدس مصباح النفس، ولكن أعجب ما في هذه العلاقة السرية أن النفس المظلمة بدوام قبولها للنور، تصير منيرة ثم تصير نوراً!! النفس تتحول إلى نور بسبب طبيعة الروح القدس السخية المتواضعة، لأن الروح القدس يعطي في النهاية نفسه، يعطيها لكل نفس تقبله!!

يقول أنبا مقار:

[**إن النفس تحتاج إلى المصباح الإلهي وهو الروح القدس، الذي ينير بيت النفس المظلم**].

(العظة ١١ — ص٧٦).

[فمن حيث كان الرسل في نفوسهم أنواراً!! أعطوا النور لكل المؤمنين فأناروا قلوب الناس بنور الروح السماوي، ذلك الذي هم أنفسهم كانوا مستنيرين به].

(العظة الأولى — ص١٠).

[**كذلك النفس التي تستنير بحسن المجد الذي لا يوصف، حسن مجد النور الذي لوجه المسيح، وتشترك في الروح القدس** بالكمال، وتُحسب أهلاً لتكون مسكناً لله وكرسياً له، حيث **تصير كلها عيناً، وكلها نوراً، وكلها وجهاً، وكلها مجداً، وكلها روحاً**].

(العظة الأولى — ص٧).

(ن) العلاقة بين الروح القدس والنفس، هي علاقة حياة بموت. فالروح محيي بلاهوته والنفس ميتة بخطيئتها. وهذه في الحقيقة أعلى وأعظم علاقة تربط الروح القدس بالنفس، فالنفس بالروح القدس تصبح حية ومنيرة بالنسبة لله والملكوت وحياة الدهر الآتي. وبدون الروح القدس النفس ميتة ومظلمة فيما لله!!

يقول أنبا مقار:

[كما أن الجسد بدون النفس يكون ميتاً، ولا قدرة له على عمل أي شيء؛ كذلك **النفس بدون الروح القدس تكون ميتة بالنسبة لملكوت الله، ولا قدرة لها على فعل أي عمل من أعمال الله**].

[وكما أن حياة الجسد في هذه الدنيا هي النفس، كذلك **النفس في الأبدية حياتها هي روح الله.** ولهذا يجب على طالب الإيمان أن يلتمس نوال الروح القدس، لأنه حياة النفس. وقد جاء الرب خصيصاً ليمنحنا روحه القدوس الذي هو النور «والحياة كانت نور الناس» (يو١ : ٤). **فالذي لا ينال في هذا العالم نور الروح الإلهي، فإنه لا يعاين النور وقت خروجه من الجسد، ولا يدخل ملكوت الله**].

(العظة ٣٠ ــ ص ٢٣١، ٢٣٢).

(س) العلاقة بين الروح القدس والنفس، كالعلاقة بين يوم السبت وبين الجسد المتعَب الواقع تحت مرارة العبودية وشقاء السخرة. فكما كان السبت في العهد القديم هو يوم البهجة والراحة والعتق من كل عمل وهمٍّ وتعب وعبودية وسخرة من كل نوع، هكذا صار الروح القدس هو السبت العظيم، سبت الراحة الأبدية، والعتق الروحي، وبهجة الخلاص من كل عبودية وسخرة من كل نوع، وبالأخص عبودية الشيطان وسُخْرَته المرة، وذلك بالنسبة للنفس البشرية التي قبلته ودخل إليها!!

يقول أنبا مقار:

[لأن الرب دعا نفس الإنسان إلى الراحة الجديدة: «تعالوا إليَّ ياجميع المتعبين والثقيلي الأحمال **وأنا أريحكم**» (مت ١١ : ٢٨)... وأحمالها الثقيلة هي أفكارها

الباطلة النجسة ونير أفعال الخبث. **وكل النفوس التي تطيع الدعوة وتأتي إليه يريحها من هذه الأفكار الثقيلة الباهظة و يطلقها من كل إثم، وهكذا تحفظ النفس السبت الجديد الدائم، السبت الصحيح المبهج المقدس، وتعيِّد عيد الروح القدس،** عيد الفرح والخدمة النقية المقبولة لدى الله... فالمجد لمن ارتضى **بمعاملة** خلائقه، الآبِ والإبنِ والروحِ القدس إلى الأبد آمين].

(العظة ٣٥ــص٢٥٣).

و يقول أنبا مقار:

[إن الراحة الحقيقية في نظر المسيحيين، هي افتداؤنا من نير الخطايا؛ وحصولنا، بعد تطهير قلوبنا، على ملء الروح، ثم سكنى ذلك الروح داخلنا بقوته الفعَّالة، لأنه هو الذي يستحثنا بعد ذلك للتقدم. و بالإجمال **فإن الروح القدس هو الذي يمتد بنا دائماً إلى الأمام. «فلنجتهد إذن أن ندخل تلك الراحة»** (عب٤: ١١)].

عن الخطاب الكبير المترجم من الفرنسية عن الأصل اليوناني.

(ع) الروح القدس فرح النفس وملكوتها:

يقول أنبا مقار:

[... المحبة هي القوة التي توجه النفس نحو الله، بعمل الروح الذي يكمل الإتحاد الوثيق بين نفسنا ومحبة الرب. هذا يتم بواسطة الصلاة، إنما بتدخل المعونة الإلهية الموهوبة للمختارين، الذين حُسبوا أهلاً لها. وهكذا تتولد المحبة السماوية الشديدة والمودة الحارة التي تُضرم في النفس نار الروح القدس.

... وهذا يدفع المؤمن أن يلحَّ طالباً من الله بصلوات متواترة أن يكمل له القول: «سكبت الفرح في قلبي» (مز٤: ٧)، أو بحسب قول الرب: «ها ملكوت الله داخلكم» (لو١٧: ٢١). **لأن ما هو هذا الملكوت الداخلي إلا فرح الروح،** هذا الذي يتدفق بقوة في النفوس المستعدة. أليس هذا الفرح، وهذه «الراحة المثمرة»، وهذا «السكر الروحاني»، كل هذا أليس هو نفس

ما يتذوقه المختارون في الفردوس في نور مجد الله؟

إن عربون هذا الفرح المفرط وباكورته تعطى للنفوس البارة الأمينة، عن طريق الشركة الحية الفعالة مع الروح القدس، كما يقول بولس الرسول: «فالذي يعزينا في ضيقتنا ويقوينا لنحتمل كل تجربة هو هذا الروح عينه الذي سيعزيكم أنتم أيضاً من قبل الله» (راجع ٢ كو١: ٤)، وأيضاً كالمزمور القائل: «قلبي وجسمي ارتكضا بالإله الحي» (مز٨٤: ٢)، وأيضاً: «أشبعت نفسي كأنها من شحم ودسم» (مز٦٣: ٥)، وأقوال أخرى مشابهة. والمقصود من هذا الفرح والتهليل بالروح وهذه التعزية هو التنعم بالله].

عن الخطاب الكبير المترجم من الفرنسية عن الأصل اليوناني.

ثانياً: أهمية عمل الروح القدس داخل النفس في صراعها ضد طبيعتها القديمة

الذي يقرأ للآباء، يدرك في الحال أهمية العمل الخطير الذي يقوم به الروح القدس لمؤازرة النفس في صراعها بعد المعمودية ضد طبيعتها القديمة؛ بحيث يتراءى للقارىء أنه بدون عمل الروح القدس يستحيل على النفس الإنسلاخ من عاداتها القديمة، ومن انحلال طبيعتها، ومن تواطئها الأول مع الشيطان.

كذلك فإن التشجيعات التي يبثها الآباء بكلماتهم النارية الملتهبة فينا، من جهة سخاء الروح القدس، وتودده المجاني لنفوسنا، بحسب توصية الرب يسوع، يجعلنا في الحقيقة أمام دينونة عظمى إذا أهملنا طلب معونة الروح القدس ليلاً ونهاراً.

(أ) الروح سبَّاق إلى الدعوة للتوبة وسبَّاق إلى المعونة:

إن جميع الآباء والنساك وكل الذين دخلوا بالحق في مواعيد الله لا يمكن أن ينسوا البداية الرائعة، كيف دعاهم الله بطرق متنوعة كان الروح القدس في جميعها سبَّاقاً إلى الدعوة، سبَّاقاً إلى المعونة، سبَّاقاً إلى تقديم عروض المحبة والتعليم، حتى أن النفس الخاطئة لا تجد أية قدرة على مقاومة إغراء الروح القدس وتودده الوديع المذهل داخل النفس، مهما كانت أكوام الخطايا والعثرات والزلات التي تراكمت فوق حياة النفس.

يقول أنبا أنطونيوس:

[قبل كل شيء أنا أطلب خلاصكم بالرب، **وأقول إن النفوس التي بلغت إليها بشارة روح الله** من رجال ونساء... **يكون قلبهم مستعداً أن يتبع روح الله** فيقبلون مواعيد الله براحة].

[وقبل كل شيء فإن **الروح القدس يدعوهم و يسهّل عليهم كل الأمور،**

حتى يحلو لهم الدخول في التوبة، ويُظهر لهم طرقها على الحقيقة، ليتوبوا بأرواحهم بالقوة ويقمعوا الجسد والروح، حتى يطهرا كلاهما ويصيرا وارثين للحياة الأبدية].

(العظة الأولى ــ ص ١٠، ١١).

ويقول أنبا مقار:

[ينبغي للإنسان أن يذوق نعمة الله لأنه قال: «ذوقوا وانظروا ما أطيب الرب» (مز٣٤: ٨).

فهذه المذاقة هي هي فضيلة الروح القدس، الذي تناله النفس بفعل الإيمان وبإيقان القلب، لأن كل بني النور خدام العهد الجديد بالروح القدس لا يتعلمون (فقط) من البشر، بل تعليمهم من الله يكون، لأن النعمة ذاتها تكتب في قلوبهم ناموس الروح].

(العظة ١٥ ــ ص١١٢).

[وكما أن النحلة تصنع عسلها سراً في الخلايا، كذلك **النعمة تعمل محبتها في القلب سراً**].

(العظة ١٦ ــ ص١٣٦).

(ب) الروح يقف حارساً على باب التوبة، يقنع النفس بطرق عديدة بعدم الرجوع عنها.

بعد أن يدعو الروح القدس ويسهِّل الدخول للتوبة، يقف حارساً للنفس، حتى لا تتجاذبها شهواتها الأولى وتجرَّها إلى الحنث في توبتها. وهو يستخدم في ذلك كافة الطرق لتحذير النفس، فإذا سمعت النفس، وصبرت، وانقادت للروح، ينفتح أمامها طريق التوبة بمواهبه وتعزياته التي تفوق العقل.

يقول أنبا أنطونيوس:

[روح التوبة يعزي الإنسان ويعرِّفه أن لا يرجع إلى ورائه، ولا يتعلق بشيء

من أمور العالم، و يفتح عيني النفس أيضاً للتوبة الحقيقية، لكي تتطهر النفس مع الجسد، و يكونا كلاهما في الطهارة واحداً، لأن **هذا هو تعليم الروح القدس، إذ يسعى أمامها، و يطهرهما، ويمحو عنها الطبائع المزوجة في الجسد، و ينقلها إلى الخلقة الأولى التي كانت قبل المخالفة**، ولا يبقى في الإنسان شيء من أمور العدو. وعند ذلك يصير الجسد تابعاً لإرادة العقل، يطهره في كل شيء، **و يتعلم من الروح القدس**، كما قال الرسول: «إني أخضع جسدي وأستعبده» (١ كو٩: ٢٧)].

(الرسالة الأولى ــ ص ١١، ١٢).

[لأن الروح القدس المعزي المأخوذ في المعمودية يعطينا العمل بالتوبة ليردّنا ثانية لرئاستنا الأولى].

[كل الذين يعتمدون للمسيح يلبسون المسيح، كما قال الرسول (غل٣: ٢٧)، و ينالون نعمة الروح القدس...].

(الرسالة السابعة ــ ص٤٦).

(جـ) الروح لا يُلزم النفس بالتوبة، ولكنه يزكيها للنفس فقط، فإن قبلت أعانها، وإن حنثت تركها.

الروح يزكي التوبة، و يذيق النفس شيئاً من سلام الله وفرح الروح وبهجة الخلاص في البداية، فإن هي قبلت الدعوة، وانقادت للحق، وتصادقت مع صوت الحكمة، أحاطها الروح القدس بمعونات وتعزيات أكثر فأكثر، حتى تقوى على كل شهواتها وعاداتها القديمة. ولكن إن هي تحامقت، وانجذبت لشهواتها الحمقاء وعاداتها القديمة انحصر الروح القدس وتراجع، وظهرت على المسرح قوات العدو تسوق النفس إلى مصير مظلم. وهكذا يستمر الصراع داخل النفس إلى أن تقرر النفس موقفها النهائي الذي تتحمل وحدها مسئوليته.

يقول أنبا أنطونيوس:

[إذا تسلحت النفس بالصبر الدائم والشهادات التي من أنفاس الله، **فإن**

الروح القدس يرشد العقل إلى تطهير النفس والجسد كليهما... فإن غفل الإنسان عن هذه الشهادات والتعاليم التي سمعها، فحينئذ تقوى عليه الأرواح الردية، وتنجس جسده، **وتشككه في كيف تأتي إليه المعونة**].

(الرسالة الأولى ــ ص١٢، ١٣).

[**فإن رجعت النفس ولصقت بروح الخلاص،** فعند ذلك تعلم أن الصبر من أجل الله هو راحتها وسلامها].

(الرسالة الأولى ــ ص١٣).

ويقول أنبا مقار:

[ولكن **إن تجاسرت نفسه وقاومت ترتيب الروح القدس، فإن القوة التي وُضعت فيه تنسحب،** وبذلك تتولد في قلبه محاربات واضطرابات، ثم تضايقه آلام الجسد في كل لحظة بمهاجمة العدو].

[فإن تاب قلبه وتمسك بوصايا الروح القدس، فإن معونة الله تكون عليه].

(الرسالة إلى أولاده ــ ص١٥، ١٦).

(د) الروح القدس هو القادر على إيقاف عمل الإنسان العتيق وإبطال سلطان الشهوات والعادات بقوة فائقة للعقل، فهو رجاء الخلاص الوحيد أمام الإنسان المربوط بخطاياه. لذلك ينبهنا الآباء من جهة التوسل والصراخ واللجاجة بلا هدوء ولا توقف ولا ملل حتى ننال هذه القوة الفائقة.

يقول أنبا مقار:

[فلنتوسل إلى الله إذن **أن ينزع منا الإنسان العتيق، لأنه هو وحده القادر على نزعه منا مع الخطيئة،** لأنها أقوى منا، بحيث أنها استأسرانا واستعبدانا في مملكتها...

لأن الخطيئة أصبحت ممزوجة بالنفس، مع أنه لكل منها ما يختص بطبيعته. ولكن لا يمكن افتراق النفس من الخطيئة، إلا بأن يرسل الله هدوءاً، ويُسكت الروح الشرير (العامل) في النفس والجسد... **فلنلتمس من الله أن**

يهب لنا أجنحة حمامة (مز٥٥: ٦)، أي الروح القدس، لنطير إليه ونطمئن، ويفرّق عنا الروح الشرير، ويقطعه منا نفساً وجسداً، لأنه هو وحده القادر على ذلك].

(العظة الثانية ــ ص١٨).

[لأن بمعصية الإنسان الأول دخل فينا الفساد، وهو فساد أهوائنا الغريب عن طبيعتنا، ولكنه مهما تأصل في الطبيعة بطول العادة والألفة، **إلا أنه يقتضي أن يُستخرج ثانية بواسطة ضيف طبيعتنا، أي موهبة الروح القدس، لنعود إلى حال النقاوة الأصلية.** ولكن طالما نحن لم ننل محبة الروح السمائي، بالطلبات والتضرعات المستديمة، وبالإيمان، والصلاة، والزهد في العالم، **وطالما لم تلتصق طبيعتنا بهذه المحبة التي هي الرب** (١يو٤: ١٦)، **فتتقدس بمحبة الروح القدس** بعد تدنسها بالخطيئة ثم نستمر بلا عيب إلى النهاية بالإجتهاد في وصايا الرب، فلا يمكننا الحصول على الملكوت السماوي].

[فكما أن الحديد إذا أُلقي في النار يتحول عنه الجوهر اليابس الذي لطبيعته ويصير ليناً بقدر مقامه في النار، كذلك النفس التي تنكر العالم، وتعلّق شوقها بالرب بالتفتيش الكثير والكدّ والجهاد، وتنتظره انتظاراً دائماً بالإيمان والرجاء **حتى تنال النار السمائية ومحبة الروح،** حينئذ تنفك من محبة العالم، وتفلت من كل فساد الأهواء، **وتتغير طبيعتها من يبوسة الخطيئة،** وتخضع للعريس السمائي بحب شديد لا يوصف].

(العظة الرابعة ــ ص٣٤، ٣٥).

[جميع الذين يُحسبون أهلاً حقاً أن **يشتركوا في الروح القدس الذي هو المحبوب السمائي،** فإنهم يتجردون بالكلية من حب العالم، ويُغمرون بالشهوة السمائية].

(العظة الرابعة ــ ص٣٥).

[النعمة حينما يلمحها الإنسان من على بعد يفرح بها، ولكن حينما تدخله القوة الإلهية وتمسك أعضاءه كلها وتستأسر قلبه ولُبّه لمحبة الله، فإنه يتغير ويصير

شخصاً آخر].

(العظة السابعة ــ ص ٥٩).

[يجدر بالنفس التي تؤمن بالمسيح إيماناً صحيحاً أن تنتقل (كو١ : ١٣) وتتغير من حالتها الفاسدة إلى حالة الصلاح، ومن طبيعتها الدنيئة إلى طبيعة إلهية، **وأن تتجدد بقوة الروح القدس**، وهكذا تصير أهلاً لملكوت السموات].

(العظة ٤٤ ــ ص ٢٨٣).

[فسبيلنا أن نؤمن بمواعيده الفائقة بكل القلب، فإن الذي وعد هو أمين. لذلك يجدر بنا أن نحب الرب، وأن نجتهد في كل الفضائل بكافة الطرق، طالبين على الدوام و بلا انقطاع أن ننال موعد روحه تاماً كاملاً، لكي تحيا نفوسنا ما دمنا في الجسد، **لأنه إذا لم تنل نفوسنا في هذه الحياة تقديس الروح بكثرة الإيمان والصلاة، وتشترك في الطبيعة الإلهية... فلا تكون أهلاً للملكوت**].

(العظة ٤٤ ــ ص ٢٨٥).

[لذلك يجب على كل واحد أن **يغصب نفسه على التوسل إلى الله، لكي يُحسب أهلاً لنوال كنز الروح القدس السماوي**، حتى يقدر أن يتمم وصايا الرب بطهارة، بلا تعب، أو صعوبة، أو عيب، الأمر الذي لا يمكنه أن يتممه بدون كنز الروح حتى ولو بالإغتصاب، لأن النفس إذا كانت محرومة من شركة الروح القدس، كيف تقدر أن تحصل على أعمال وغنى الروح ؟].

(العظة ١٨ ــ ص ١٥٣).

و يقول أنبا أنطونيوس :

[الذي يطلب من الرب باجتهاد ومحبة بحسب وصاياه وتعاليمه، فإن الرب يكون معه و يعطيه نعمة الروح القدس... **والذين استحقوا هذه النعمة، سعوا** حسب الوصية **بكل قوتهم ونياتهم، فقبلوا روح البنوّة وتعلموا من الروح القدس.**

اطلبوا لكي النار التي ألقاها الرب يسوع على الأرض يلقيها في

قلوبكم لتستطيعوا أن تتدربوا في عزائمكم وحواسكم].
(الرسالة الثالثة ــ ص٢٣ ، ٢٤).

(هـ) الروح القدس لا يعمل وحده ضد الجسد العتيق داخل النفس، بل لابد من إرادة مقاومة العالم ومن الجهاد المتواصل، وأن تكون إرادة الإنسان على موافقة تامة مع الروح القدس، وعلى أعلى يقظتها، وإلا يتوقف عمل الروح القدس و يصير وجوده بلا فائدة.

يقول أنبا مقار:

[وكما أن الطفل الرضيع الذي يأتي إلى هذه الدنيا لا يبقى في قامته الطفولية طول الأيام، ولكنه يكتسب كل يوم نمواً جديداً حسب النواميس الخفية للطبيعة التي تعمل فيه، إلى أن يبلغ إلى عمر الرجل الكامل وملء الإدراك في خبرة الحياة؛ هكذا أيضاً و بنفس الحال يحدث للذي يولد من فوق بواسطة الماء والروح، فإنه لا ينبغي أن يبقى في الطفولة الروحية و يتوقف عن النمو، بل ينبغي عليه، بالصراع واحتمال الآلام التي تهاجه بكثرة، **أن يستخدم الصبر و يتقدم كل يوم في عراكه المتواصل، إلى أن يصل إلى ملء القامة الروحية التي كتب عنها الرسول:** «إلى أن ننتهي جميعنا إلى وحدانية الإيمان ومعرفة ابن الله، إلى إنسان كامل، إلى قياس قامة ملء المسيح، كي لا نكون فيما بعد أطفالاً مضطربين ومحمولين بكل ريح تعليم، بحيلة الناس، بمكر، إلى مكيدة الضلال، بل عاملين الحق في المحبة، ننمو بكل وسيلة في ذاك الذي هو الرأس المسيح» (أف ٤ : ١٣ــ١٥).

وفي موضع آخر أيضاً: «ولا تشاكلوا هذا الدهر بل تغيروا عن شكلكم بتجديد أذهانكم، لتختبروا ما هي إرادة الله الصالحة المرضية الكاملة» (رو١٢ : ٢)، **حتى تبلغوا منتهى المشيئة الإلهية، محققين ملء قامة النمو الذي هو فيض الروح.** لأن في الولادة الجسدية يصل الطفل إلى ملء النمو بواسطة القوة الطبيعية التي تأتي به، من تلقاء ذاتها، إلى قامة الرجل الكامل،

حيث يظهر جلياً أن العناية الإلهية العامة هي التي حددت هذه الغاية دون تدخُّل قط من إرادة الإنسان الحرة، لأن إرادة الإنسان لا تدخل في نمو الجسد.

ولكن بالنسبة للولادة من فوق ـــ الولادة حسب الروح ـــ فلا توجد هذه القوة التي تعمل بدون جهاد، إنما يلزم هنا تدخُّل الجهد الشاق والصراع والمثابرة والإرادة التي لا تكل، و بالإجمال كل وسائل الجهاد الشخصي، بمقتضى كلمة ربنا «اجتهدوا أن تدخلوا من الباب الضيق» (لو١٣: ٢٤)، وقوله أيضاً: «لأن ملكوت السموات يُغصب» (مت ١١: ١٢)، وأيضاً: «بصبركم اقتنوا أنفسكم» (لو٢١: ١٩)، «من يصبر إلى المنتهى... فهذا يخلص» (مت ١٠: ٢٢). و يقول الرسول: «ولنحاضر بالصبر في الجهاد الموضوع أمامنا» (عب ١٢: ١)، «هكذا اركضوا لكي تنالوا (الإكليل)» (١ كو٩: ٢٤)، وأيضاً: «ما أكثر ما يحتاج خدام الله إلى الصبر».

إذن، فإنه بالعمل الجاد والجهد الشخصي و بالألم والمعاناة يصل المرء إلى النمو، **فبقدرما يتقدم المرء في ممارسة الوصايا عن حب وحرارة، بنفس هذا القياس تنشىء نعمة الروح الملازمة لجهاد الإنسان تحصيلاً أكبر في التجديد الروحي.** لأنه وإن كان من المؤكد أننا بالنعمة والغفران الإلهي نتقبل الخلاص، إلا أن هذا هو أيضاً من عمل الإيمان، والحب، والجهاد، والإستعداد الشخصي، وذلك بالتصميم على النمو والتقدم لبلوغ القياس الكامل للقامة الروحية، لأنه بالنعمة والجهاد معاً يتم لنا ميراث الحياة الأبدية.

فليس شيء يتم بعمل القوة الإلهية أو النعمة بدون الجهد، وغيرة الإنسان القوية التي تشارك بالفعل في تقدمه ونموه، كما أنه أيضاً ليس شيء يتم نتيجة العمل الشخصي أو الجهد والغيرة دون مؤازرة الروح القدس وتعضيده synergy ، الذي يجعلنا قادرين على الوصول إلى ملء قامة الحرية والنقاوة: «إن لم يبنِ الرب البيت فباطل تعب البنائين وإن لم يحرس الرب المدينة فباطل سهر الحراس» (مز١٢٧: ١). وأيضاً: «لأنه ليس بسيفهم امتلكوا الأرض ولا ذراعهم خلصتهم (مع أنه لابد من الجهاد ومناطحة

الأعداء)، لكن هي ذراعك يارب ويمينك المقتدرة ونور وجهك» (مز٤٤: ٣).

إذن يلزم الإتحاد الكامل بين القوة الإلهية وجهادنا الخاص، و باختصار يعلمنا النبي عن أمرين:

الأول: هو أن كبرياء المتكلين على ذواتهم يؤدي إلى السقوط.

والثاني: هو أن بالإيمان والمحبة، ونحن مستندون على النعمة، نبلغ رجاء الحياة الأبدية.

ما هي إذن هذه الإرادة الصالحة التي يحثنا الرسول على اقتنائها، كل واحد لنفسه، بغيرة لا تفتر ولا تنقطع؟ أليست هي نفسها تلك التي يشير إليها الرب في التطويبات قائلاً: «طوبى للأنقياء القلب لأنهم يعاينون الله» (مت٥: ٨)؟ وأيضاً: «كونوا أنتم أيضاً كاملين كما أن أباكم الذي في السموات هو كامل» (مت٥: ٤٨)؟

فالتخلص من الخطية هو وعدٌ تحمله لنا هذه الآيات، ولكن على أساس الكف عن شهوات الشرور، وتقديس القلب، بواسطة الشركة مع الروح، الذي يكمّل و يقدّس إلى كل ملء الله، كل نفس استسلمت لله عن إيمان وحب].

(عن الخطاب الكبير المترجم من الفرنسية عن الأصل اليوناني).

و يقول أنبا مقار أيضاً:

[ومرة ثانية، يطلب إلى أولئك الذين حُسبوا أهلاً أن يتقبلوا روح الموعد في المعمودية، يستحثهم على السعي في التقدم قائلاً: «لذلك أنا أيضاً إذ قد سمعت بإيمانكم بالرب يسوع ومحبتكم نحو جميع القديسين، لا أزال شاكراً لأجلكم ذاكراً إياكم في صلواتي، كي يعطيكم إله ربنا يسوع المسيح أبو المجد، روح الحكمة والإعلان في معرفته، مستنيرة عيون أذهانكم لتعلموا ما هو رجاء دعوته، وما هو غنى مجد ميراثه في القديسين، وما هي عظمة قدرته الفائقة نحونا نحن المؤمنين» (أف١: ١٥ــ ١٩).

ورغبة منه في أن يعبِّر بأكثر وضوح عن شركة الروح واقتنائه، يستطرد مبيناً النموذج الكامل لهذه العطية: «حسب عمل شدة قوته الذي عمله في المسيح، إذ أقامه من الأموات...» لكي تنالوا أنتم أيضاً ملء حسب قوة روحه].
(عن الخطاب الكبير المترجم من الفرنسية عن الأصل اليوناني).

يقول أنبا مقار:

[**إن قوة نعمة الله في الإنسان وموهبة الروح القدس، التي تُحسب النفس الأمينة أهلاً لقبولها، يتبعها جهاد عظيم، وصبر كثير، وطول أناة، وتجارب وبلايا تُمتحن بها إرادة الإنسان بأصناف الشدائد كلها، فإن لم تحزن الروح في أي أمر بل تكون موافقة للنعمة في تكميل الوصايا، فإنها تُحسب أهلاً لأن تُطلق من شدائدها، وتنال ملء تبني الروح،** مع ما قيل عنه من سر الغنى الروحي والحكمة التي ليست من هذا العالم. وهذه جميعها يشترك فيها المسيحيون العائشون بالحق].

[ولكن **لم يُسمع قط أن أحداً اقتنى نفسه واقتنى روح المحبة السمائي دون أن يبتعد عن أشياء هذا العالم، ويبذل نفسه في حب المسيح...** جاعلاً عقله كله، وقاصراً اعتناءه وتلهفه، على طلب جوهر النفس العقلي، **منتظراً برجاء كامل مجيء الروح القدس عليه...**].
(العظة التاسعة ـــ ص٦٧، ٦٨، ٦٩).

[إن النفوس التي تحب الله وتشتهي أن تلبس المسيح بإيمان ورجاء زائد لا تحتاج إلى من يذكِّرها، ولا تكون قط خالية من شهوة المحبة الإلهية... ولو أنها تصير أحياناً في فراغ (جفاف)، ولكن لأنها تكون مسمَّرة بكليتها في صليب المسيح، فإنها تشعر يوماً فيوماً بحسب اختباري بتقدمها الروحاني نحو العريس السمائي، **ولأنها تكون مجروحة بشهوة سمائية وجائعة لبر الفضائل، فإنه يكون لها اشتياق عظيم، لا يخمد، إلى الروح القدس ليضيء عليها.**

وبقدر ما تُحسب أهلاً للمواهب الروحانية، يزداد فيها الشوق

الإلهي، الذي يكون قد ملأها اضطراماً، ولا تكف عن تفتيش ذاتها باجتهاد وبلا ملل؛ وبقدر ما تحس بالترقي الروحاني، تزداد جوعاً وعطشاً إلى اقتناء النعمة...

فمثل هذه النفوس التي تحب الرب حباً حاراً لا ينطفىء، تستأهل الحياة الأبدية، وتُحسب أهلاً للإفتداء من الأهواء الدنيئة، وتنال نورَ الروح القدس بالتمام، وحضورَه الذي لا يُوصف، والشركةَ السرية بملء النعمة].

(العظة ١٠ ـ ص ٧١، ٧٢).

[فجميع الذين هم للخدمة، و يفعلون كل شيء ببشاشة وغيرة وإيمان وحب لله، فعملهم هذا يأتي بهم بعد فترة إلى معرفة الحق عينه، **لأن الرب ينكشف لنفوسهم والروح القدس يعلمهم طريقه**].

(العظة ١٢ ـ ص ٩٥).

[فكل من شاء أن يرضي الله بالحق و ينال منه النعمة السماوية، نعمة الروح القدس، وأن ينمو في الروح القدس، فهو مُطالَب بأن يغصب نفسه إلى وصايا الله كلها، و يُخضع لها قلبه النافر... و يداوم الصلاة والطلب إلى الله كل حين، حتى وبعد أن ينال رغبته و يذوق الله و يصير شريكاً في الروح القدس... والروح ذاته يمنحه هذا، و يعلمه الصلاة الحقيقية، والمحبة الصحيحة، والوداعة الصادقة، التي كان قبلاً يشتهيها و يغصب نفسه إليها...]

[فلنغصب إذن نفوسنا إلى التواضع العقلي والوداعة والمحبة، حتى ولو لم يكن للقلب إرادة في ذلك، ملتمسين ذلك من الله بالإيمان والرجاء والمحبة بلا انقطاع، بأمل وانتظار أن يرسل روحه إلى قلوبنا، حتى نصلي إلى الله ونسجد له بالروح والحق، والروح ذاته يصلي فينا، لعل الروح نفسه يعلمنا الصلاة الحقيقية التي لا نقدر على تحصيلها الآن بالإغتصاب...].

(العظة ١٩ ـ ص ١٦٣).

[فمن أراد أن يصير شريكاً في المجد الإلهي، و ينظر الرب في قوة نفسه بوجه مكشوف كما في مرآة، عليه أن يطلب المعونة من الله بشدة قوته، وبحب لا يخمد، ورغبة لا تتوقف، بل ومن كل قلبه ليلاً ونهاراً... **وهو لا يمكنه أن ينال ذلك، إلا إذا حرم نفسه من لذة العالم، ومن شهوات القوة المعادية** (١بط٢: ١١، يو٨: ٤٤)].

(العظة ٢٥ــص١٨٢).

[فلنُصلِّ، إذن، نحن بكامل ثقة الإيمان والحس، لننال روحه القدوس... حتى لا يعود يتسلط علينا خداع هذا العالم الحاضر، بل نكون في ملء ثقة الروح... ولا نيأس، لأن نعمة الله ترتضي بقبول الخاطئين التائبين... **فلنأتِ بقلب مستقيم منفصل عن هموم الأشغال، فيعطينا شركة الروح.**

وإرادة الإنسان هي كمعين طبيعي... **وتمام عمل الروح القدس يستند بكليته على إرادة الإنسان، وكذلك إذا وجهنا إليه كل إرادتنا، فإنه ينسب العمل كله إلينا، فإنه إله عجيب في كل الأمور و يفوق كل إدراك**].

(العظة ٣٧ــص٢٥٩).

يقول أنبا أنطونيوس:

[اتفاق الجسد (الأعمال الجسدية من صوم وسهر وضبط حواس) مع النفس في التوبة ضرورة. فإذا نال العقل هذه النعمة، عند ذلك يطلب بالروح القدس، و يبتدىء يطرد عن النفس كل المصاعب التي تأتي عليها من شهوات القلب. **لأن الروح القدس إذا صار للعقل شركة معه، من جهة حفظ الوصايا التي يتعلمها، فإنه يرشده لينزع الأوجاع** (الأهواء النفسانية) **عن النفس الواحدة بعد الأخرى**، التي تكون قد امتزجت بالجسد، أو التي تكون في النفس خاصة من أعلى الرأس حتى أسفل القدمين:

+ العينان تنظران بطهارة واستقامة، ولا يبقى فيها شهوة غريبة.

+ والأذنان تسمعان بالسلام من جهة كل الخليقة، ولا تحتملان النميمة.

+ اللسان يتكلم بالخير و بطهارة... لأن العقل إذا تقوى وابتدأ يأخذ من الروح، فإن اللسان يتطهر و يفحص كل كلمة ينطق بها، حتى لا تكون فيها إرادة جسدانية.

+ واليدان لا تعملان بحسب هوي النفس، ولكن الروح يعدُّهما لرفع الصلاة وعمل الرحمة والعطاء، فيتم القول: «إن رَفْع يدي كقربان المساء» (مز١٤١: ٢).

+ والبطن يصير مدققاً و يتحرز من المآكل والمشارب، و يتخلص من الشهوات والشبع التي تختلط بها قوة العدو، والتي تكون قد تسلطت على البطن بسبب النفس الشهوانية. لأن كل الذين يطلبون الطهارة، فإن روح الله يهديهم إلى الإستقامة (العفة). وهكذا يتم القول: «فإذا كنتم تأكلون أو تشربون أو تفعلون شيئاً فافعلوا كل شيء لمجد الله» (١كو١٠: ٣١).

+ والرجلان يضبطهما القلب الذي يكون قد امتلأ بالنعمة، ويحركهما بإرادة الروح القدس لتخدما في الأعمال الصالحة.

+ لأن الذي يطلب الخلاص بالحقيقة و يتمسك بالطهارة، **فإن الروح القدس ينزع عنه حركات (الخطية) براحة، والروح القدس يصير ملجأً له وقوة، و يطفىء عنه كل الشرور المتحركة عليه. وهكذا يرجع الجسد تحت سلطان الروح القدس**].

[**فإذا دامت النفس على الصبر، والإستماع الحسن للروح القدس الذي يجتذبها للتوبة، فإن الله يترأف على تعبها** وأتعاب الجسد، الذي هو كثرة الصوم، والسهر، والهذيذ في الكتب المقدسة، والصلاة بغير فتور، والخدمة لجميع الناس، بقلب طاهر ومسكنة الروح، وهكذا ينجيها الرب من جميع التجارب ويخلصها برحمته].

(الرسالة الأولى ــ ص ١٢، ١٣، ١٤).

[أُطلبوا لكي النار التي ألقاها الرب يسوع على الأرض يلقيها في قلوبكم، لتستطيعوا أن تتدربوا في عزائمكم وحواسكم].

(الرسالة الثالثة ــ ص ٢٥).

[وروح الله لا يسكن في نفس أو جسدٍ خاطىءٍ، لأنه قدوس و بعيد عن كل غش].

(الرسالة الرابعة ــ ص ٢٧).

[إن كل من لا يبغض ما يختص بالأرض وكل أعمالها من كل قلبه، و يرفع عقله إلى العلا نحو الآب، فلا يستطيع أن يخلص. أما من استطاع ذلك، فالرب يترأف على أتعابه، و ينعم عليه بالنار غير المنظورة غير المادية، لتحرق كل الأوجاع التي فيه وتطهِّر عقله، وعند ذلك يسكن فيه الروح القدس، و يكون معه].

(الرسالة الخامسة ــ ص ٢٩).

[إن محبة الرب تتعاهد ضمائرنا، وتساعد كل الذين قد جعلوا أفكار قلوبهم مرتبطة بتذكار كنيسةِ الأطهار ليل نهار، **هؤلاء يكون الروح القدس مذكراً لهم دائماً، يطلب عنهم، لأنهم قد صاروا له أولاداً، لأنه هو ولدهم بالله**].

(الرسالة الثانية عشر ــ ص ٦٢).

[إن كل إنسان، رجلاً كان أو امرأة، فيه قوة محبة كائنة للحركةِ، إما جهة الإلهيات وإما جهة الجسديات، فالإلهيون يحبون اللاهوتية، والجسديون يحبون الجسديات، **أما أنتم فبسبب أن اللاهوتية فيكم، فإني أحبكم بكل قلبي وروحي لإقتنائكم الله فيكم**. وقد صرتم عندي في مكانة عظيمة، ولذلك أطلب من أجلكم لكي **تزدادوا في محبته لتنمو اللاهوتية فيكم**].

(الرسالة الثالثة عشر ــ ص ٦٥).

(و) عدم الإذعان للروح القدس خسارة عظيمة، وأي مقاومة أو عناد يُنهي بسرعة على حالة النعمة التي يكون فيها الإنسان، حيث يدخل الإنسان في تأديب مُرّ، و يذوق معنى التخلي وهجران النعمة، تلك التي توقعنا في يد الشيطان. علماً بأن الإستمرار في معاندة الروح القدس، وإهمال إنذاراته، قد ينتهي بهجران لا عودة فيه، وسقوط نهائي من النعمة.

* * *

يقول أنبا مقار:

[فسبيلنا أن نجتهد، و بغاية التبصر نسعى في عمل خلاصنا، بخوف ورعدة، **ومهما كنتم أنتم الذين صرتم شركاء في روح المسيح، فلا ترتفعوا في نفوسكم على أي وجه، سواء كنتم حقراء أو عظماء، ولا تتكبروا على النصيحة، ولا تعاندوا روح النعمة، لئلا تُنفوا من الحياة التي كنتم شركاء فيها**].

(عظة ١٢ ــ ص١٠٣).

[**سؤال: هل يسقط من له موهبة النعمة؟**

جواب: إن اتَّبع الإهمال يسقط لا محالة، لأن اعداءنا لا يتوانون في إثارة الحرب علينا (١بط ٥: ٨) ولا يتوقفون (عن المقاومة) قط.

سؤال: هل تبقى النعمة في الإنسان بعد سقوطه؟

جواب: الله يشاء أن يعود الإنسان إلى الحياة، و ينصحه بأن يعود ثانية إلى البكاء والتوبة، فالنعمة تبقى لتجعلك محصناً بز يادة، بتوبتك عن الأشياء التي ارتكبتها].

(العظة ١٥ ــ ص١٠٩).

[**فها قد ترى أن الذين قد تجددوا وذاقوا الموهبة السماو ية يسقطون، لأن الإنسان له إرادة لإرضاء الروح، وإرادة لإحزانه**].

(العظة ٢٧ ــ ص٢١٣).

[أولئك أيضاً الذين ذاقوا نعمة الله، وصاروا شركاء الروح القدس؛ إن لم يصونوا أنفسهم صيانة تامة، فإن النور ينحجب عنهم انحجاباً كاملاً و يصبحون أشر مما كانوا عليه أولاً في حال دينونتهم، ليس أن الله هو الذي تحول أو ضعف أو أن الروح ينطفىء، بل الأشخاص ذواتهم لا يوافقون النعمة فيُطرحون و يقعون في مصائب... «أبعد ما ابتدأتم بالروح تُكمِّلون الآن بالجسد» (غل٣: ٣)].

(العظة ١٥ ــ ص١٢١).

و يقول أنبا أنطونيوس:

[إذا تسلحت النفس بالصبر الدائم والشهادات التي من أنفاس الله، فإن الروح القدس يرشد العقل إلى تطهير النفس والجسد كليهما... **فإن غفل الإنسان عن هذه الشهادات والتعاليم التي سمعها، فحينئذ تقوى عليه الأرواح الردية، وتنجس جسده، وتشككه في كيف تأتي إليه المعونة**].

(الرسالة الأولى ــ ص ١٢، ١٣).

[لأن بولس الرسول يقول: «لا تطفئوا الروح» (١تس ٥ : ١٩)... واعلموا يا أولادي أن الروح لا ينطفىء منا، إلا بالكلام الباطل، والمزاح، وأعمال أُخر كثيرة لا يمكن أن أكتبها واحدة فواحدة].

(الرسالة الحادية عشر ــ ص ٦١).

[وأنا أبوكم، أجتهد أيضاً معكم، وأطلب من أجلكم، **لكي تقبلوا هذا الروح**، لأني أعرف أنكم كاملون **وقادرون على قبوله**. لأن كل من يفلّح نفسه بهذه الفلاحة، فإن الروح يُعطَى له في كل جيل وإلى الأبد ــ **وأعرف أناساً قبلوه، ولما لم يكمّلوا هذه الفلاحة، لم يثبت فيهم**].

(الرسالة الثامنة ــ ص ٥٠، ٥١).

(ز) إن وجود الروح القدس في النفس لا يمنع حصول التجارب والأحزان والضيقات المتنوعة، بحسد الشيطان، بل إن الروح القدس يستخدمها لمصلحة النفس، وتنمية إيمانها، وترسيخها في المحبة. لذلك ينذرنا الآباء بشدة، أن لا نرفض التجارب، أو نحزن لمقاومة الشيطان لنا، بل بالحري نزداد عناداً وثباتاً ورجاءً، حتى يفرح بنا الروح القدس، ويحارب عنا، ثم يُدخلنا الراحة الأخيرة.

يقول أنبا مقار:

[**إن قوة نعمة الله في الإنسان وموهبة الروح القدس التي تُحسب النفس الأمينة أهلاً لقبولها، يتبعها جهاد عظيم**، وصبر كثير، وطول أناة، وتجارب، وبلايا، تُمتحن بها إرادة الإنسان بأصناف الشدائد كلها، **فإن لم تحزن الروح**

في أي أمر، بل تكون موافقة للنعمة في تكميل الوصايا، فإنها تُحسب أهلاً أن تُطلَق من شدائدها، **وتنالَ ملءَ تبني الروح**، مع ما قيل عنه من سر الغنى الروحي، والحكمة التي ليست من هذا العالم، وهذه جميعها يشترك فيها المسيحيون العائشون بالحق].

(العظة التاسعة ــ ص٦٧، ٦٨).

[إن حرية الإرادة التي في قدرة الإنسان محصورة ومحدودة في مقاومة الشيطان فقط، وليس لها قدرة السيطرة على الشهوات مطلقاً. لأن داود النبي يقول: «إن لم يبنِ الرب البيت فباطلاً يتعب البناؤون، وإن لم يحرس الرب المدينة فباطلاً يسهر الحارسون» (مز١٢٧: ١). لأنه لا يمكن لأحد أن يمشي على الحية ويدوس الأسد والتنين، إلا إذا جاهد أولاً في تطهير نفسه، ثم نال قوة من القائل: «ها أنا أعطيكم سلطاناً لتدوسوا الحيات والعقارب وكل قوة العدو» (لو١٠: ١٩). **لأنه لو كانت الطبيعة البشرية قادرة على أن تقاوم مخاتلة الشيطان بدون سلاح الروح القدس الكامل، ما كان الرسول بولس قد قال: «وإله السلام سيسحق الشيطان تحت أقدامكم سريعاً»** (رو١٦: ٢٠)، وأيضاً: «يبيده الرب بروح فمه» (٢تس٢: ٨). ولهذا أمرنا المسيح أن نطلب من الله: «لا تدخلنا التجارب **لكن نجنا من الشرير»، فإن لم يكن لنا عون آخر عال نخلص به من سهام الخبيث المتوقدة ونُدعى به للبنوة، فكل سيرتنا لن تجدي نفعاً**].

(العظة ٢٥ ــ ص١٨١).

[**النفس إذا كان لها إقامة في شركة الروح القدس، فإن طول إقامتها في نار الروح ونوره الإلهي يحصّنها ضد أية مضرة من أي روح شرير، لأنه إذا اقترب من النفس فإنه يحترق بنار الروح السمائي**].

(العظة ٣٠ ــ ص٢٣٣).

[ومتى صار قلب الإنسان وكأنه قد ذبل (بالتجارب)، وكاد يعثر في كل تجارب العدو، حينئذ يرسل الله، محب البشر والمعتني بخليقته، **قوة مقدسة**،

ويثبّته، ويُخضع قلبه ونفسه وجسده وكل أعضائه إلى نير البارقليط. لأنه هو قد قال: «احملوا نيري عليكم وتعلموا مني لأني وديع ومتواضع القلب» (متى ١١: ٢٩)].

[ومتى تَجرب بكل أنواع (التجارب)، **فإن الروح القدس يبدأ يعلن له الأشياء السمائية**(١)، أي كل ما يعود بالإستحقاق والعدل على القديسين، وعلى كل الذين وضعوا رجاءهم في رحمته].

(الرسالة إلى أولاده: ١١، ١٣).

ويقول أنبا أنطونيوس:

[فإذا دامت النفس على الصبر والإستماع الحسن للروح القدس الذي يجتذبها للتوبة، فإن الله يتراءف على تعبها وأتعاب الجسد، التي هي كثرة الصوم، والسهر، والهذيذ في الكتب المقدسة، والصلاة بغير فتور، والخدمة لجميع الناس، بقلب طاهر ومسكنة روح، وهكذا ينجيها الرب من جميع التجارب ويخلصها برحمته].

(الرسالة الأولى ــ ص١٦).

[وتشبه النفس، التي تسكنها نار الله وحرارة الأعمال الصالحة التي اشتعلت بها قلوبهم ــ تشبه طيراً ذا جناحين يطير بهما مرتفعاً في السماء...، **فأجنحة النفس المتعبدة لله هي قوة نار الله التي تطير بها النفس إلى العلا، فإذا عدمت هذه النار، لا يصير لها استطاعة للإرتفاع كالطير الذي نُزع جناحه!!...**

فلا تَدَعوا قوة هذه النار تُنزع منكم، لأن حروباً كثيرة كائنة لكم من الشيطان لأجل هذه النار المعطاة لكم من الرب لكي ينزعها منكم، لأنه يعلم أنه لا قوة له عليكم، ما دامت نار الله فيكم... لهذا يقاوم بشدة النفوس المتعبدة لله عبادة حسنة، بأوجاع كثيرة، يلقيها في النفس ليطفىء هذه النار التي هي قوام كل فضيلة؛ فإذا انغلب الشيطان وارتد خائباً، فإن روح الله يسكن فيهم، وإذا سكن الروح القدس فيهم، يريحهم من جميع أعمالهم (جهاداتهم ضد

---

(١) لذلك يسميه الآباء روح الإستعلانات.

الخطيئة)، ويجعل نير الله حلواً لديهم جداً، ويجعل فرح الله فيهم نهاراً وليلاً، و يربي عقولهم و يغذيها!!

ولأجل محبة ربنا للبشر، يطلق على محبيه تجارب مضادة، حتى لا يتعظم قلبهم، بل يثبتوا في الجهاد، وحينئذ يصير بدل القوة ثقل وضعف، وعوض الفرح حزن، وعوض الراحة والهدوء قلق، وعوض الحلاوة مرارة. **وبكثير مثل هذه يصاب مُحبُّ الله، فإذا تقوى في الجهاد وغلب، فإن روح الله يكون معه في كل شيء و يقو يه!!**].

(الرسالة الثامنة عشر ــ ص١٠٥، ١١٢).

[**لأن التجارب لا تأتى بقوة إلا على الذين قد قبلوا الروح القدس،** لأنهم، عند قبولهم الروح، تأتي عليهم التجارب من الشيطان، لكون **الروح القدس يطلقها عليهم،** لأن الشيطان ليس له سلطان أن يغصب أحداً من المؤمنين إلا أن يُعطى ذلك من جهة الروح القدس].

(الرسالة التاسعة عشر ــ ص١١٤، ١١٥).

ثالثاً: الروح القدس يختم النفس بخاتم العهد و يعطيها ميثاق الروح

وهكذا بعد أن يجتاز الروح القدس بالنفس كل الإختبارات اللازمة لخلاصها، وتحتمل التجربة بصبر وطول أناة، يزكيها الروح القدس ويملأها من خمره الجديدة، و يضع على رأسها إكليل البر، فتحس النفس بنهايتها السعيدة، كما أحس بولس الرسول، وتشهد الشهادة الأخيرة الحسنة، فلا تكف عن التسبيح والترتيل والشكر.

يقول أنبا مقار:

[كذلك النفس التي تستنير بحسن المجد الذي لا يوصف، حسن مجد النور الذي لوجه المسيح، وتشترك في الروح القدس بالكمال، **وتُحسب أهلاً لتكون مسكناً لله** وكرسياً له، حيث تصير كلها عيناً وكلها نوراً وكلها وجهاً وكلها مجداً وكلها روحاً، **والمسيح نفسه قائدها** وسائقها وحاملها وساندها، و يد الإنسان (المسيح) من تحت الكاروب يقودها بزمام الروح ويهديها في الطريق].

(العظة الأولى ــ ص٨).

[كذلك **النفوس المقدسة، تنقاد وتهتدي في طريقها بروح المسيح، إذ** يرشدها إلى حيث يشاء، فإن شاء أقامت في التأملات السمائية، وإن شاء لبثت في الجسد (الأعمال)، وإن شاء لازمته في خدمته. لأنه كما أن أجنحة الطائر هي له بمنزلة الرجلين، كذلك نور الروح السمائي، فهو يتخذ من الأفكار المناسبة أجنحة للنفس، **ويهدي الطريق أمامها، و يوجهها حيث يستحسن هو**].

(العظة الأولى ــ ص١٤).

[ريح الروح القدس الذي ينسم على النفوس، **وينعش الذين هم في النور الإلهي**، و ينفذ في جوهر النفس كله وأفكارها، وكذلك **يروِّح و يرطب أعضاء الجسد براحة إلهية لا توصف**].

(العظة الثانية ــ ص ٢١).

[أما طرائق عمل الروح القدس في النفس فهو تارة يعطيها أن تفرح **فرحاً لا يوصف**، وتارة يجعلها **كعروس تتنعم بألفة عريسها** بملذات إلهية، وتارة يجعلها تكون **كالملائكة بالخفة** غير منحصرة بالأمور الأرضية، وتارة يجعلها **تسكر بالروح بالأسرار الإلهية**، وأحياناً تصير حاملة لهموم كل جنس البشر، تندم عنهم، **وتتشفع في ذرية آدم، حيث يلتهب فيها الحب من جهة الطبيعة البشرية**، فتنوح وتولول عليها، وأحياناً يتقد فيها **فرح الروح لمحبة الإنسان**، دون أن تفرق بين الجيد والرديء، وأحياناً **تتضع جداً بالروح، لتعيش تحت كل شخص، حاسبة نفسها أقل وأدنأ الكل**. وأحياناً **تحارب بأسلحة الروح، كبطل يهجم على أعدائه**، و يقاتلهم بحرارة و يظفر بهم، **وأحياناً تستريح النفس**، وتصير في هدوء عظيم وسكون وصمت، منهمكة بملذات روحانية، وأحياناً **تعلمها النعمة بفهم وحكمة لا توصف**، بمعرفة الروح الفائقة].

[**وهكذا، ليس لفاعلية الروح القدس في النفس انقطاع، بل من فعل إلى فعل**، حتى تصل النفس إلى كمال الروح، و يتم تطهيرها من أهوائها الفاسدة، وتتحد بالروح المعزي بأُلفة لا توصف، وتختلط بالروح تماماً، وتُحسب النفس أهلاً لأن تصير روحانية في ذاتها بهذا الإختلاط].

(العظة ١٨ ــ ص ١٥٦، ١٥٧).

[النفس التي لا يكون **مطبوعاً عليها صورة الروح القدس السمائي بالنور الذي لا يوصف** (١)، فإنها لا تليق بالأمجاد السماوية، لأن الذي دُعي إلى الوليمة وليس عليه لباس العرس طُرد خارجاً، لأنه **لم يكن حاملاً للصورة**

(١) و يُرمز إليها بالهالة المنيرة التي تُرسم حول رأس القديسين.

السمائية، لأن هذه هي علامة الرب وختمه المختوم على النفس ـ أي الروح القدس بنوره غير الموصوف].

(العظة ٣٠ ـ ص ٢٣٢).

[قد أتى ربنا يسوع المسيح ليحوّل ويجدد ويخلق ثانية النفس التي انعكست بالشهوات الدنيئة والمعصية، بحيث أنه يمزجها بروحه الإلهي، ليصنع لها عقلاً جديداً، وعيوناً جديدة، وآذاناً جديدة، ولساناً جديداً روحانياً، وبالإختصار يصير المؤمنون به بشراً جديداً، وإناءً جديداً، بعد أن يمسحهم بنوره، ليصب فيهم من الخمر الجديدة، أي روحه القدوس، كما قال إن الخمر الجديدة توضع في زقاق جديدة (مت ٩: ١٧)].

(العظة ٣٧ ـ ص ٢٨٠).

[والروح القدس يعين هؤلاء، و يصونهم، و يرشد أنفسهم إرشاداً محسوساً به. كذلك فإن الروح القدس يلهم القديسين والأشخاص الموشحين به التسبيح، والترتيل، والصلاة لله بنقاوة قلب].

(العظة ٤٧ ـ ص ٣٠٠، ٣٠٢).

[ومتى صار قلب الإنسان وكأنه قد ذبل (بالتجارب)، وكاد يعثر في كل تجارب العدو، حينئذ يرسل الله، محب البشر والمعتني بخليقته، قوة مقدسة، و يثبته، و يُخضع قلبه ونفسه وجسده وكل أعضائه إلى نير البارقليط، لأنه هو قد قال: «احملوا نيري عليكم وتعلموا مني لأني وديع ومتواضع القلب» (مت ١١: ٢٩)].

(الرسالة إلى أولاده: ١١).

[ومتى تجرب بكل أنواع (التجارب)، فإن الروح القدس يبدأ يعلن له الأشياء السمائية، أي كل ما يعود بالإستحقاق والعدل على القديسين، وعلى الذين وضعوا رجاءهم في رحمته].

(الرسالة إلى أولاده: ١٣).

[وبعد هذا كله يقطع البارقليط عهداً مع نقاوة قلبه وثبات نفسه وقداسة

جسده وتواضع روحه، فيجعله يتجاوز كل الخليقة. ويعمل فيه الروح القدس، بحيث أن فمه لا يتكلم بأعمال الناس، ويرى المستقيم بعينيه، ويضع حارساً لفمه، ويرسم طريقاً مستقيماً لخطواته، ويقتني برِّيديه، والمثابرة في الصلاة مع تعب الجسد والسهر المتكرر. هذه الأشياء يرتبها البارقليط فيه بقياس إفراز، وليس بتشويش، بل بهدوء].

(الرسالة إلى أولاده: ١٤).

ويقول أنبا أنطونيوس:

[اعلموا ياأولادي الأحباء بالرب، **أن الروح القدس أزلي سرمدي، يفوح رائحة زكية حلوة، لا توصف بلسان، كما قيل. من هم الذين عرفوا لذة الروح وحلاوته، إلا الذين استحقوا أن يحل فيهم. وهذا معلوم أن كثيرين لم يستحقوه، لأن روح التوبة لا يسكن في نفوس التائبين إلا بعد أتعاب كثيرة جداً. فإذا سكن فيها، يسلمها الروح القدس، ويحل فيها**].

[وأيضاً **الروح القدس لا يسكن في نفس متكبرة**، بل في أنفس المتواضعين، الذين أفكارهم جميعها في الكمال. **فإذا سكن في هؤلاء هذا الروح، فإنهم يرسلون للرب شكراً عظيماً وتمجيداً أكثر، لأنهم استحقوا حلول الروح القدس فيهم**].

(الرسالة التاسعة عشر ـ ص ١١٢، ١١٣).

الفصل الثاني

الروح القدس في تعاليم مار إسحق

إن تعليم مار إسحق في جملته يعتبر امتداداً لتعليم القديسين الذين سبقوه، حيث يقرر ذلك في كتاباته النسكية التي تركها، معتبراً نفسه تلميذاً لمن سبقوه، و بالأكثر للقديس أنبا مقار الكبير. وهو يذكر أنه يستقي معرفته بتدقيق من كتاب أنبا مقار الذي كان بين يديه (وهو مفقود الآن).

ومار إسحق يُعتبر من القديسين القلائل الذين تركوا لنا منهجاً متكاملاً في الحياة النسكية. وقد خصَّ الروح القدس وعمله داخل النفس بجزء كبير من تعاليمه وإرشاداته، التي ضمَّنها كتبه الأربعة المعروفة. ونحن نقدمها مع تعليقات بسيطة قبل كل قول، عسى أن تجد منفذاً لقلب القارىء، فتحرك نفسه لإقتبال هذه النعمة الفائقة القدر.

(١) الصلاة وعمل الروح القدس

جزء أول ــ ميمر أول

(أ) الصلاة ومعونة الروح ــ «النعمة هي الملكوت»:

+ الصلاة إذا كانت بدافع الحب الإلهي تشجع الضمير وتُلبس العقل قوة، ومنها يتكون **الرجاء** الذي يلهب الضمير، ويجعل المجاهدين يصبرون على كل الضيقات وكل شرور الأرض، و يستهينون بها إزاء الخيرات الموعود بها. **وعلى هذا المنوال تظل النعمة وقوة الروح تشجع الضمير من وقت إلى وقت، و يراها كما في مرآة.**

+ والصلاة الكاملة تنير الطريق الضيق الصاعد فوق هذا العالم وترفع النفس نحو السماء. **وبالصلاة تنحدر (تنسكب) النعمة، هذه التي تسمى الملكوت.**

+ **والإحساس بالنعمة يجعل الإنسان ينسى كل ما على الأرض، حيث يتأكد الإنسان أن القوة هي من الله**، وبينما الإنسان على الأرض، تكون سيرته في السماوات. **ويحس الإنسان أن له مقوياً ومعيناً سمائياً غير منظور** يعضده في كل وقت ويرفع الإنسان فوق طبيعته.

جزء أول ــ ميمر ثانٍ

(ب) المجاهدة في الصلاة بتغصب والحصول على النعمة ومعونة الروح القدس:

+ إغصب نفسك قليلاً، وأنت تجد نعمة عند الله.

لأنك **بقدر ما تغصب ذاتك في الصلاة، تقترب منك المعونة الإلهية، وتأخذ قوة من الروح القدس الخفي.**

(جـ) تكريم الصلاة وتوقيرها يؤهل للحصول على النعمة وعلى عمل الروح القدس:

+ **بقدر الكرامة التي يقدمها الإنسان لله في الصلاة بحركات الجسد وبالضمير معاً، تأتيه نقاوة الحركات وإستضاءة، ويؤهَّل لنعمة كثيرة من العلاء بتدبير الله.**

+ الإهتمام بوقار الصلاة ورفع اليدين ووقوف متعفف وسجود منسحق، هذه تعتبر زي الصلاة الحسن، **وبقدر ما يزيِّن (الإنسان) نفسه بهذا الزي، فإنه يؤهَّل سريعاً لعمل الروح القدس.**

+ **إذا لم نوافق الأفكار** والمناظر التي تتشكل في فكرنا وقت الصلاة وقاتلناها (بنشاط)، **فإن النعمة تؤازرنا.**

٢ ــ الجهاد وعمل الروح القدس

جزء أول ــ ميمر ثانٍ

+ **لا تصدق ياأخي أنه بدون جهاد الأعمال يمكن أن ينعتق الإنسان من الآلام (الشهوات المريضة) أو يشرق عليه نور النعمة.** لأننا رأينا أنه لا تُعطَى المواهب إلا لأشخاص محبين للجهاد (عمَّالين) قد تعرَّوا من الإنسان العتيق.

٣ ــ جهاد الفضيلة يؤهل لفعل الروح القدس

جزء أول ــ ميمر ثالث

+ فضيلتان تؤهلان الإنسان لموهبتين:

الصلاة بغير فتور ولا طياشة، مع هدم لمح أفكار الشهوات (الآلام) ومجاذبات الشياطين حال ما تظهر في الفكر أو يحس بها القلب. هاتان الفضيلتان تلدان وتمنحان موهبتين إلهيتين، تشملان جميع مواهب الروح الأخرى، و يعتبرهما الأب إشعياء (الإسقيطي) أنهما تفوقان كافة الفضائل لأنهما أرفع منها جميعاً. هاتان الموهبتان هما:

الأولى: حركة روحانية داخل النفس تتأجج بنار الروح القدس لحب الله الكامل.

والثانية: رؤية نور مجد المسيح. «بنورك نعاين النور» (مز٣٦: ٩).

٤ ــ الجهاد ضد الأفكار الشريرة وعمل الروح القدس

+ إذا تجلد المتوحد وثبت في السكون ولم يرتخ في الجهاد، يبتدىء يجد الراحة قليلاً قليلاً وتعينه النعمة على الدوام، وتطرد الشياطين من أمامه **بفعل ومشورة الروح القدس «اللاصق به»**.

٥ ــ الجهاد بالأعمال الجسدية وعمل الروح القدس

جزء أول ــ ميمر رابع

+ كما أنه لا يستطيع إنسان أن يشعل النار المادية المنظورة من دون نوع من أنواع الوقيد، هكذا **من دون العمل المحسوس بالجسد لا يؤهَّل الإنسان لنار النعمة الإلهية في قلبه، ولا يمكن أن يقتني حرارة الحب الإلهي ومعرفة الله.**

٦ ــ احتمال الضيقات وعمل الروح القدس

+ الذي يشقي ذاته من أجل الله **ويجاهد وهو خائف من الخطية يستحق أن يرى عجائب الله.** لأن المتضايق من أجل الله يحمله الله على كفه أينما كان.

ولا يدنو منه شر بنوع التجربة إلا لكي يُظهر الله عنايته به!!، كما يقول القديس باسيليوس: [**من ذا الذي نال روح الله بالإتساع وكثرة المآكل!**].

٧ ــ احتقار أباطيل العالم ومحبة الآخرين يلازمها الروح القدس

+ كلما يهان العالم عندك، تزداد فيك المحبة نحو الآخرين، ويلازم هذا نعمة الروح القدس.

وكلما ازداد فيك التمسك بالعالم، نقصت فيك محبة القريب.

٨ ــ من احتمال التجارب، يؤهل الإنسان لعناية الروح القدس

+ من يقرع باب الكتب بحكمة، باب الفضيلة ينفتح أمامه، ومن يدخل باب الفضيلة، باب التجارب ينفتح عليه.

من يدخل باب التجارب من أجل الله، تحيط به عناية الله وتلتصق به الملائكة.

ومن يصبر على المجاذبات التي تصادفه في هذا الباب، يؤهَّل لعناية الروح القدس.

٩ ــ الإتضاع يحرك الروح القدس

+ إذا لم يتضع الإنسان لا تقترب منه المعونة الإلهية.

لأن نعمة الله قائمة عن بُعد تراقب الإنسان على الدوام خصوصاً وقت الصلاة، فإذا تحرك فيه فكر اتضاع تقترب منه النعمة في الحال ومعها ربوات من المعونات. **وهذه تُمنح وقت الصلاة أكثر من بقية الأوقات.**

١٠ ــ السؤال بالليل والنهار بدموع يؤهل لعطية الروح القدس

+ الذي يقف أمام الله بالليل وبالنهار يسأل الله غفران خطاياه بدموع وحزن، يجود عليه بقوة بالروح القدس لكي يكمل في محبته وحفظ وصاياه.

حتى وإذا لم يكن قد استحق بعد **لدموع النعمة**، وحتى ولو امتنعت عليه **دموع ندم النفس**، فإن حزن قلبه وندامة ضميره تقوم له بدل الدموع، ولكن على أن لا يهدأ من الصلاة والطلبة.

١١ ــ ترتيل المزامير والإمتلاء من الروح القدس

جزء أول ــ ميمر سادس

+ الذي يداوم ترتيل المزامير، بدون طياشة، يمتلىء من الروح القدس.

١٢ ــ الصلاة بحرارة الروح
تحرق الشهوات والأفكار

+ حرارة الصلاة والهذيذ بالله تحرق الآلام (الشهوات المريضة)، والأفكار الشريرة كما بنار إلهية.

١٣ ــ الثبوت الدائم في الصلاة والروح القدس

جزء أول ــ ميمر سابع

+ إثبت في الصلاة أكثر من أي خدمة أخرى، **لتنال دالة...، ومعونة من النعمة، وقوة إلهية تحل عليك.**

١٤ ــ إذا كثرت النعمة تزداد جرأة الإيمان

جزء ثاني ــ ميمر أول

+ إذا كثرت النعمة في الإنسان، أحب البر والتقوى، وهان عليه الموت في سبيلهما، ولا يعود يبالي بمؤذيات الجسد، مهما بلغت، لأنه يقيسها مقابل الراحة المزمعة.

١٥ ــ سُكنى الروح القدس والتعزية بالتجارب

جزء ثاني ــ ميمر رابع

+ إذا سكن الروح القدس النفس، فإنه لا يعزيها بالإسترخاء والراحة؛ بل بالتعب والضيقات الدائمة، يعلمها وينشطها ويحكّمها للمعرفة، لأن إرادة الروح القدس أن يكمّل بالآلام والأتعاب تدبير محبيه، أما الذين يسعون وراء حياة الراحة، فهؤلاء ليس روح الله يسكن فيهم بل روح الشيطان، هوذا بولس الرسول يفتخر أنه كان يموت كل يوم. وهذا الأمر هو الذي يفرز ويفصل ما بين بني الله وبني العالم، فبنو الله بالأتعاب يعيشون أما بنو العالم فبالراحة والتنعيم.

١٦ ــ القراءة المستنيرة تؤهّل لعمل الروح القدس

جزء ثاني ـــ ميمر خامس

المبتدئون في السيرة الروحانية إذا كان قصدهم مستقيماً، فإنهم إذا ابتدأوا بالقراءة فإن النعمة تبتدىء تعمل معهم.

١٧ ــ الروح القدس يعمل في الصلاة الحارة النقية

جزء ثاني ـــ ميمر سادس

+ **ليس هناك وقت أقرب وأوفق لعمل الروح القدس من وقت الصلاة**، لأن فيها يتكلم الإنسان مع الله، وفي هذا الوقت حيث التضرع والطلب تكون حركة النفس والفكر مُنجمعة إلى الله شاخصة فيه، فيُبتلع الضمير بالكلام مع الله. في هذا الوقت يبتدىء الروح القدس يجود على النفس، بمعرفة، حسب درجة الإنسان.

١٨ ــ الروح القدس البارقليط وقوة الإيمان المعزي

جزء ثاني ـــ ميمر ثامن

+ **الإيمان هو نور يشرق داخل النفس، بعمل النعمة**، وبشهادة الضمير يستند القلب، فيثق بالرجاء بيقين، بدون انقسام أو أي ظن، وليس من التقليد أو سماع الأذن. والقديسون **بقوة الإيمان** يتدبرون بتنعم... **وقوة هذا الإيمان التي تحل عليهم في كل وقت وكل مكان هي هي من البارقليط**. وبهذه القوة ــ أي البارقليط ــ تشتعل كل النفس كما من حرارة النار، وتجسر على الأشياء الخطرة بثقتها بالله واتكالها عليه.

١٩ ــ عمل الروح القدس المفاجىء

جزء ثاني ـــ ميمر تاسع

+ **إن النعمة قد تفتقد الإنسان «بغتة»**، فتفيض أحياناً الدموع من عينيه بغير توقف، أو يمتلىء من حزن توبة حاد يتحرك في القلب، أو فرح بغير سبب واضح، أو بلذة السجود الكثير (المطانيات).

٢٠ ــ الروح القدس وحزن التوبة

جزء ثاني ــ باب مشورات مفيدة

+ لا تظن أنه من دون النعمة الإلهية يمكن أن يقع حزن التوبة في القلب، لأنها موهبة يقبلها الإنسان خفياً برحمة الله للإنجذاب إلى الحياة.

٢١ ــ تبادل مستمر بين عزاء الروح القدس وبين التخلية والأحزان والقتالات

باب مشورات مفيدة

+ هذا الأمر كتب عنه القديس أنبا مقار بعناية كثيرة واهتمام، لتذكرة الإخوة وتعليمهم، لئلا يسقطوا في قطع الرجاء وقت انقلاب العزاء إلى الضد.

قال أبّا مقاريوس:

[التقلّب يحدث لكل إنسان كتقلب الرياح، في وقتٍ بردٌ و بعد قليل حرارة. **وهذا إنما يكون لتدرّجنا في الطريق وتدريبنا: وقتٌ قتالٌ ووقتٌ معونة من النعمة**، وقتٌ تدخل النفس في ألم مفسد وتتواثب عليها أمواج صعبة؛ ثم يحدث التغيير وتفتقدها النعمة، فتملأ القلب فرحاً وسلاماً من الله وأفكاراً عفيفة صالحة ــ وهنا يشير القديس أنبا مقار بقوله: «أفكار عفيفة صالحة» إلى أن ما قبلها كانت بالضرورة أفكاراً وحشية نجسة ــ (التعقيب هنا لمار إسحق). ثم إذا تواترت هكذا العوارض من صالح إلى ما هو ضده لا تَضعفْ وتقصّرْ وتقطع الرجاء. كما أن في وقت افتقاد النعمة لا تفتخر بل بالحري في وقت الفرح انتظر الضيقة ــ وقول القديس أنبا مقار: «لا تقصر وتقطع الرجاء وقت تواتر الضيقة» ليس معناه أن نقعد ولا نحارب قبالة الضيقة ــ (التعقيب هنا لمار إسحق). أما الذي يتخلف عن هذا فهو يكون من نصيب الذئاب].

إنتهت رسالة أنبا مقار.

و يستمر تعقيب مار إسحق هكذا:

+ ياللعجب من هذا القديس أنبا مقار ــ كيف بكلمة صغيرة حصر هذا

الفصل الكثير المفهومات والمعاني، فاستطاع أن يطرد الشك بالتمام من فكر القارىء عندما قال: «المتخلف عن هذا هو من نصيب الذئاب»، و يقصد بذلك الذي يريد أن يسلك وحده في طريق لم يسر فيها الآباء القديسون.

+ وفي موضع آخر يقول القديس أنبا مقار: [إذا دنت منا الملائكة القديسون، فإنهم يملأوننا من الرؤية الروحانية، ويهرب من أمامنا جميع المقاومين، و يكون لنا عندئذ هدوء وسلام لاينطق بهما].

٢٢ ــ التوبة والروح القدس

الجزء الثاني ــ روح التوبة

+ التوبة إذا سكنت في القلب تعلِّم الإنسان اتضاع النفس والإزدراء بالذات، وهذان هما حصن كل الفضائل. كما **توحي إليه التوبة بأعمال تغصبية كثيرة خفيَّة وظاهرة، تفعل في القلب وتنقيه وتعدُّه لقبول الروح القدس.**

٢٣ ــ الروح القدس والإحتراس والتدقيق

الجزء الثاني ــ روح التوبة

+ أنا أشير عليك أيها التائب المتضع لأجل الحب، **إن كنت قد ظفرت بالرحمة وتنقيت بالتوبة وبدأت تؤهَّل لأفعال الروح القدس، احترس أن لا تسيِّب حواسك، واحفظ قلبك ونُسك بطنك**، واحرص على الوداعة التي فيك، و بالأكثر احفظ لسانك، وتضرَّع بدموع كثيرة أن يحفظك المسيح خفياً وظاهراً، **ورتل مع داود النبي «روحك القدوس يارب لا تنزعه مني»** (مز٥١: ١١).

٢٤ ــ إمكانية السقوط بعد نيل النعمة

الجزء الثاني ــ روح التوبة

+ حتى ولو أن القلب يتقدس بحلول الروح القدس و يؤهَّل لإستعلان أسرار المعرفة، إذا الإنسان بدأ يستعمل الإنحلال وعدم الإحتراس، و يتهاون في التدبير، ويميل إلى الشبع، و يرجع إلى قيئه الأول، فإن القلب يظلم بالتخلية، ويخيب من النور والحياة والنعمة.

٢٥ ــ الروح القدس والإتكال على ذراع البشر

الجزء الثاني ــ في ترتيب السكون

+ لا تتكل على إنسان، لئلا تخيب من النعمة.

٢٦ ــ الروح القدس والجهاد ضد الخطايا

الجزء الثاني ــ في ترتيب السكون

+ الإنسان الذي يحارب قبالة الآلام (الشهوات المريضة) بحسب الوصايا لكي يقطعها من القلب، فإن النعمة لا تهدأ من مساعدته خفياً.

٢٧ ــ الروح القدس والصوم

الجزء الثالث ــ الباب الرابع

+ الصوم واسطة بين الناموس القديم والنعمة المجانية الموهوبة لنا من المسيح تعالى، ومن يتهاون بالصوم يتراخى ويضعف عن بقية الجهادات. وبدل النصرة يضع نفسه في خطر قبالة الإنهزام في الحروب، لأنه بدون الصوم يكون قد وفد إلى الجهاد عارياً من السلاح (الصوم)، لأن الصوم هو درع الأعضاء، والجوع هو سلاح الحفظ، الذي يجعل الفكر رصيناً ثابتاً عند مصادمة الآلام الصعبة والضوائق المحزنة!!

٢٨ ــ الروح القدس والصلاة الدائمة

الجزء الثالث ــ الباب الرابع

+ إذا أهّل الإنسان للصلاة الدائمة فهو يكون قد بلغ إلى كمال السيرة، لأن الروح القدس يكون ساكناً فيه، لأنه إذا لم يقبل الإنسان موهبة البارقليط على التحقيق، لا يمكنه أن يصلي على الدوام براحة، لأن الروح القدس إذا سكن في إنسان، فإنه لا يفتر عن الصلاة، لأن الروح فيه يصلي على الدوام، فإن كان مستيقظاً أو نائماً لا تنقطع الصلاة من نفسه.

٢٩ ـ الروح القدس والصلاة الروحانية

الجزء الثالث ــ الباب الرابع

+ **الصلاة الروحانية هي حركة النفس الداخلية، عندما تكون في شركة مع الروح القدس؛** حيث ترتفع النفس فوق طبيعتها وتتخلف عن الشعور بالأمور الحاضرة.

٣٠ ـ الروح القدس ومعونة البسطاء المتكلين على الله

الجزء الثالث ــ الباب السادس

+ نعمة الله تحمل الناس ذوي الطهارة والبساطة، الذين ألقوا مقاليدهم في يد الله ونبذوا العالم من كل قلوبهم وساروا وراءه حسب وعده. **فتضرَّع أنت إلى الله، وابكِ تجاه نعمته، ونُح، واشقَ الليل والنهار أمامه، إلى أن يُنفِذ لك معونة نعمته.**

٣١ ـ الروح القدس والسقوط في البرودة والثقل

الجزء الثالث ــ الباب الرابع عشر

+ **أنا أتضرع إليك بمحبة** إذا أنت تجربت بهذه الأمور (البرودة وثقل الأعضاء)، التي يطلقها الله على الإنسان ليمتحنه ويختبره بها، **انهض حالاً بحرارة وغيرة، وانفض عنك (التهاون والكسل)، واغصب نفسك قليلاً، فإن النعمة تدنو منك** كما كانت أولاً، وتأتيك قوة أخرى مُخفى فيها أنواع كثيرة من المعونات، وحينئذ يتعجب الإنسان من مثل هذا التغيير و يتفلسف.

٣٢ ـ الروح القدس والتجارب

الجزء الثالث ــ الباب الرابع عشر

+ **إن الباري، سبحانه، قد رأى بحكمته أن تكون النعم بمقدار المحن!!**

فلا يمكن أن تأتي موهبة عظيمة وتسبقها تجربة ضعيفة!! والعزاء على مقدار الحزن!!

لأن هذه وتلك مرتَّبة بمقدار بعضها على البعض.

تأتي التجربة، وبعد ذلك المواهب والنعم!! أو أن النعمة تأتي أولاً وتعقبها التجربة!!

على أن التجربة لا تأتي إن لم يسبق الله و يرفع منزلة النفس عن مقدارها الأول.

غير أن النعمة لا تتقدم إلى أحد إن لم يسبق و يذُقْ التجارب، وهذه وتلك للتهذيب.

٣٣ ــ الروح القدس والصبر في الضيقات

الجزء الثالث ــ الباب الحادي والعشرون

+ كل الضيقات والأحزان التي لا تحتملها بصبر، عقابها يتضاعف عليك. **وصبر الإنسان يزيل مصائبه،** أما صغر النفس فهو أصل العذاب.

الصبر قوة تتولد من سعة القلب، وعسير على الإنسان أن يحصل عليها بدون النعمة الإلهية، التي تتحنن على الإنسان من مواصلة الصلاة والطلبات والدموع الغزيرة. **وأيضاً بمقدار اتضاعك ينعم عليك الروح بالصبر في أحزانك؛** وعلى قدر احتمالك يخف عليك ثقل شدائدك و يزداد عزاؤك؛ **ومن كثرة عزائك تزداد محبتك لله؛ و بقدر محبتك تعظم مسرتك بالروح القدس!!**

٣٤ ــ الروح القدس ونعمة العزاء

الجزء الثالث ــ الباب السابع والعشرون

+ **إذا كثر الصبر في نفوسنا، فإنه يكون دليلاً على أننا قبلنا نعمة العزاء في الخفاء** = (أي البارقليط، أي المعزِّي).

٣٥ ــ الروح القدس والحركة الأولى داخل النفس للخلاص

الجزء الثالث ــ الباب الثامن والعشرون

+ إن الحركة الأولى الحالَّة في الإنسان من قِبَل محبة الله للبشر، عملها هو أن ترشد النفس إلى الخلاص، وهي تأتي في القلب حتى قبل أن تتغير طبيعته (العتيقة)، و يتبع هذه الحركة تهاون بالعالم، وتنبع منها جميع الحركات الصالحة المؤدية إلى الحياة.

٣٦ ــ الروح القدس وسكنى النعمة في القلب

الجزء الثالث ــ الباب الثامن والعشرون

+ النعمة لا تأتي دفعة واحدة وتسكن بالكمال في النفس، بل قليلاً قليلاً، لأنه لابد أن يكون وقت للتجربة ووقت للعزاء. ولا يزال هذا يلازمنا إلى وقت الخروج من العالم.

٣٧ ــ الروح القدس ومذمّة الناس

الجزء الثالث ــ الباب الحادي والثلاثون

+ الإنسان الذي يطلق لسانه على كل الناس بالجيد والرديء، لا يؤهَّل لنعمة الله.

٣٨ ــ الروح القدس ورفع النعمة بغتة

الجزء الرابع ــ في أنواع الأفكار

+ الإنسان الذي يلومه ضميره ثم يسوِّف ويدوس على ضميره بلا تقويم، وبعد هذا تظل عناية الله تنبهه للتوبة ولا تكف عن تأديبه؛ في وقت تقمعه وفي وقت تكرمه؛ وفي وقت ترذله وتحزنه بالعوارض والأمراض والخسارات، ثم تجذبه بالرحمة للتقويم ــ وبالرغم من ذلك كله يقيم هو مزدرياً متهاوناً بطالاً لا يتحرك لنخس النية، **ترتفع منه النعمة بغتة.**

٣٩ ــ الروح القدس وضبط الهوى

الجزء الرابع ــ مشورات نافعة

+ الذي يغلب مشيئة نفسه ويضبط هواه، هو مجاهد نشيط، والنعمة تعمل فيه بزيادة.

٤٠ ــ الروح القدس ومحبة الصلاة

الجزء الرابع ــ مشورات نافعة

+ الذي خارجاً عن الصلاة يظل ضميره منشغلاً بكلام الله، يكون قد ربط نفسه بعمل عظيم متضاعف، والنعمة تعمل فيه بزيادة.

٤١ ــ الروح القدس والصلاح المغروس في طبيعة النفس

الجزء الرابع ـــ رؤوس معرفة

+ **الصلاح موضوع في طبع النفس، كالنار الموضوعة في طبع الحجر والحديد وهي مفتقرة لمن يحركها. والذي يحركها هو النعمة مع حرص الإنسان واجتهاده** (هذا الكلام عجيب جداً وعميق جداً).

٤٢ ــ الروح القدس والصلاة بدون كلمات منطوقة

الجزء الرابع ـــ رؤوس معرفة

+ الذبيحة غير الهيولية (غير المادية: أي الروحانية) هي **سجود العقل** عندما يشخص بالصلاة، وإنما بدون كلمات منطوقة، **بل بالروح،** حيث العقل يظل مطأطئاً رأسه أمام العظمة.

+ توجد صلاة بكلمات منطوقة، ولكن غير محدودة وغير محفوظة: هذه من فعل الإرادة الصالحة. **وتوجد صلاة بكلمات غير منطوقة: هذه من فعل الروح القدس والنعمة والمعونة خفياً.**

٤٣ ــ الروح القدس وتقديس القلب والكلمة

الجزء الرابع ـــ رؤوس معرفة

+ القداسة هي أن الإنسان يتقدس بقوة فعل الروح القدس بالصلاة.

+ وإلى أن يتقدس قلبنا بروح الرب، لن نقدر أن نفرز الحركات التي من الشيطان، والتي من الملائكة، والتي من الطبع، والتي من تحريك الروح القدس.

+ إلى أن تتقدس كلمتنا بالروح القدس، لن تكون مخيفة للشياطين، ولن تخضع لها الطبائع الصامتة أو الناطقة.

+ إلى أن نتطهَّر من أفعال الخطيئة، لا يحلّ في أنفسنا الروح القدس.

+ إلى أن يصفو العقل، ما يستطيع أن يشترك في فعل الروح القدس.

+ إذا امتزجت قوة الروح القدس بهذيذ العقل، يرتفع العقل إلى قدرة الدهش في الله.

٤٤ ــ الروح القدس وإمكانية الإحساس به

الجزء الرابع ــ رؤوس معرفة ــ ميمر أول

+ **الإحساس بالنعمة عقلياً** إنما يبدأ **بالإحساس بعمل التوبة** عقلياً، (يقصد الإحساس المعقول وليس الإحساس الملموس).

٤٥ ــ الروح القدس وتقديس هيكل النفس والصلاة الدائمة

الجزء الرابع ــ رؤوس معرفة ــ ميمر أول

+ عمل القديسين بني النور هو عمل ميخائيل وجبرائيل، ومن مائدة واحدة يغتذون، **وصلاة القديسين بني النور لا تنقطع لأنه قد تقدَّس هيكل نفسهم بالروح.**

٤٦ ــ الروح القدس وذبيحة جسد المسيح

الجزء الرابع ــ رؤوس معرفة ــ ميمر أول

+ **في الساعة التي يقدّم فيها الكاهن ذبيحة جسد المسيح ودمه المحيي، يحل الروح القدس ويمنح الغفران للخليقة.** والشاروبيم والسيرافيم والملائكة يقفون بدهش عظيم، و يفرحون بالأسرار المقدسة بعجب لا ينطق به.

٤٧ ــ الروح القدس والقفز في الطريق الضيق بتسرع

الجزء الرابع ــ رؤوس معرفة ــ ميمر أول

+ **ليس لنا أن نبلغ إلى الميناء الهادىء بالوثب**، ولا أن نعبر إلى بلد السلامة بدون صبر على الضوائق والتجارب المختلفة، ومقاساة شرور الشياطين والجهادات والحروب الصعبة حتى الدم؛ **ولا يمكن أن نحسّ بالحق بدون النعمة** وهداية الأب الروحاني.

+ أما الصبيان بحرارة الوثبات الطبيعية (الطموح الروحي بالنشاط المزيّف)، فإنهم بسبب حماسهم المعثر يتراءى لهم أنهم بلغوا هدفهم عندما يقرأون سيرة الآباء و يتمثلون بكلامهم أو يسمعون تعليماً يفوق قامتهم. هؤلاء تمقتهم النعمة وتحكم عليهم أن يصبروا ولا يقفزوا في الهواء ظانين أنهم يعملون العظائم، وتحكم عليهم أن يعملوا في الكرم بهدوء حتى زمان الراحة الحقيقية. **فإذا تجاسروا بزيادة، تتخلى عنهم النعمة**

فيقعوا في ربوات التجارب، و ينمحقوا بآلام الجسد، وتغشاهم ظلمة النفس، وتستهزىء بهم الشياطين.

٤٨ ــ الروح القدس وعمله بعد المعمودية

الجزء الرابع ــ رؤوس معرفة ــ ميمر ثان

+ الذي قد وُلد روحياً من العماد المقدس وتتلمذ للتدبير الملائكي، ينبغي له أن يعمل ويجاهد مقابل الآلام، و يسأل نعمة الله أن يولد للطهارة، و يؤهَّل إلى ما هو فوق الطبع بسر استعلان الروح القدس، لكي يقبل عربون مجد كنز البنوة.

+ نحن نأخذ الروح القدس بعد العماد كالعربون لإبطال الخطية، ونيْل قوة نقاتل بها قبالة الآلام والشيطان، فإذا تأهّلنا لنقاوة القلب بالجهاد مقابل الآلام (الشهوات المريضة)، فإن الروح القدس يزيد لنا قوة منه لكي نستطيع أن نكون فوق الطبع، وأن نقبل مجد الرب باستعلان نوره غير المنطوق به.

+ هذه القوة ــ قوة الروح القدس ــ كمَّلت كل الأبرار والقديسين في أجيالهم. هذا هو الروح القدس الذي دُعي من ربنا روح البارقليط، ودُعي من بولس الرسول مكمِّل القديسين، واصطلح الآباء على تسميته روح الإستعلانات.

٤٩ ــ الروح القدس يقرع ولا يستطيع الدخول

الجزء الرابع ــ رؤوس معرفة ــ ميمر ثان

+ ما دامت الشهوات (الآلام) ثابتة في القلب، والنفس تميل إليها وتتنازل معها، فإن الروح القدس لن يجد له راحة داخل تلك النفس، يقرع ولا يستطيع العبور للداخل، غير أنه يصبر و يثابر على قرع باب القلب كطبيعة محبته.

٥٠ ــ الروح القدس ودعوة الخطاة

الجزء الرابع ــ رؤوس معرفة ــ ميمر ثان

+ إفهم هذا أيضاً، أنه حتى العشارون والزناة لا تهدأ النعمة من أن تدعوهم وتوقظهم وتجذبهم للتوبة، وتذيقهم طعم الحياة، وتصيدهم بصنارة روحانية للحياة الأبدية.

كلمة في الختام

لم نشأ أن نبوِّب أقوال مار إسحق، لأنها بوضعها الحالي تتناسب في تدرجها مع كل قارىء، و يقيناً لو انفتح قلب القارىء لاستطاع أن يكسب كثيراً جداً من هذه السطور القليلة بوضعها البسيط هذا.

و يلاحظ القارىء أن ما دونَّاه عن الروح القدس في هذا الكتاب، إنما هو خبرات أعظم الآباء النساك الذين عاشوا بالروح وتكلموا بالروح وكتبوا لنا شيئاً مما عاينوه ومارسوه، فالأمر الآن لا يختص بمعرفة ونقاش وجدل، إنما يختص بتوبة وحياة في مخافة الله بسر الروح.

يارب ارسل فيضاً من روحك القدوس على كنيستك في هذه الأيام،
واملأ شعبك من مواهب الروح،
ليذوق مختاروك بهجة الخلاص، و يفرحوا بنور وجهك، و يتهللوا بعمل نعمتك في حياتهم كل يوم،
بصلوات كل قديسيك الذين كملوا في المجد
وصلوات قديسيك الذين لا يزالون يجاهدون في الحق.
وبالأكثر املأ رأس كنيستنا البابا شنودة وكل إخوته المطارنة والأساقفة بكل ملء الروح.
حتى يسري عمل نعمتك في مجراه التقليدي إلى كل فرد في رعيَّتك المقدسة.

العظة السابعة والخمسون (*)

للقديس مقاريوس الكبير

١ ــ الروح يهبُّ حيث يشاء.

فهو يهبُّ على النفوس المضيئة المشعَّة الإلهية التي تشتاق بشدة أن تخدمه بكل اجتهاد.

فإن كانت مطيعة للروح المستحق كل سجود، فهو يعطيها مخافة الله وحرارة المبتدئين.

ومتى صار ذلك فيها، يعطيها أن تبغض العالم تماماً وكل ما يمكن اشتهاؤه فيه للهلاك: الذهب والفضة وثياب الجسد المغرية، كما أيضاً الأب والأم والزوجة والأولاد.

ثم يجعل عملَ الله للإنسان أحلى من العسل ومن شهد العسل، سواء كان تعبَ الأصوام أو سهر الليالي أو السكون ἡσυχία أو خدمة الآخرين أو الصدقة، فإن كل أمور الله تصير له حلوة.

٢ ــ ولكن متى علَّمه كل ذلك، فإنه يسلِّمه إلى التجربة.

وحينئذ كل ما كان له حلواً، يصير له ثقيلاً وصعباً.

وكثيرون من الذين لم يجرَّبوا قبل ذلك، يسقطون تحت هذا الثقل و يصيرون جسدانيين. وهم الذين يقصدهم بولس حينما يقول: «أبعدما ابتدأتم بالروح، تُكمَّلون الآن بالجسد؟ أهذا المقدار احتملتم عبثاً؟» (غل٣: ٣، ٤).

(*) وهي إحدى سبع عظات لم تترجم بعد لأي لغة، مرقمة من ٥١ إلى ٥٧؛ ترجمت من الفرنسية عن الأصل اليوناني في الپاترولوچيا جريكا.

وقد رأينا أن نقدمها للقارىء هنا في الختام، كنموذج للتركيز الآبائي على فعل الروح القدس داخل النفس.

فما احتملوه عبثاً إنما هو الأتعاب التي احتملوها من أجل الله.

لأن الإنسان الذي تلاشى عزمه تماماً وترك السعي، لم يفقد فقط أجر أتعابه، بل صار معرَّضاً لعقاب أعظم، لأنه احتقر و بدّد النعمة التي من فوق.

٣ ــ أما إذا قاوم الإنسان الشيطان في هذه التجربة الأولى وغلبه، فإن الله يعطيه حرارة متصلة رزينة و بدون اضطراب. لأن الحرارة الأولى كانت مندفعة ومشوَّشة وغير منتظمة؛ وأما الثانية فهي أفضل، وهي تولِّد الرؤيا، إذ أنها تثمر بالصبر وليس بها اضطراب، بل هي صادقة وغير مشوَّشة.

فمثل سفينة راسية في ميناء هادىء، هكذا الحرارة الثانية كلها سلام.

٤ ــ والآن أيها الأولاد، اقتنوا هذه الحرارة الثانية لكي تخف عليكم جميع الأشياء، لأن هذه الحرارة التي بحسب الله تطرح إلى خارج كل الآلام، وتطرد من الإنسان كل ثقل (ضجر)، وتجعل اللاهوتية تساكنه بحيث يصير هيكلاً لله، كما هو مكتوب «سأسكن معهم وأسير بينهم» (لا ٢٦: ١١، ١٢، ٢ كو٦: ١٦).

٥ ــ فإذا شئتم أن تعود إليكم الحرارة التي فارقتكم، فهذا ما ينبغي أن تعملوه:

ليقطع الإنسان عهداً بينه و بين الله، وليقل في حضرته:

«إغفر لي ما صنعته في تهاوني»، وأيضاً «لن أعود أعصاك بعد».

ولكي يحفظ نفسه في المستقبل من كل تهاون، يجب عليه أن لا يعطي ذاته أبداً أية راحة جسدية ولا نفسية، بل ليكشف أفكاره أمام الرب نهاراً وليلاً، وليبكِ بلا انقطاع أمام الرب وليبكِّت نفسه بكل حزن قائلاً لها: «كيف صرتِ متهاونة حتى الآن؟ كيف بقيتِ قفرة كل هذه الأيام؟».

ولكي يحفظ في نفسه ذكر الدينونة والملكوت الأبدي، يجب عليه أن يبكِّت نفسه باستمرار قائلاً لها: «كيف!... أجزل الله لكِ كل هذه الكرامات وأنتِ تعيشين في التهاون؟ لقد أخضع لكِ الخليقة كلها وأنتِ لا تكونين مطيعة؟». فمتى قال هذا لنفسه مبكِّتاً إياها ليلاً ونهاراً وفي كل ساعة، فإن الحرارة الإلهية تعود إليه سريعاً ــ ولكن

حرارة أفضل على كل وجه من الأولى.

٦ ــ لما أحسّ الطوباني داود الضجر نازلاً عليه قال: «تفكرتُ في أيام القدم في السنين الدهرية وكنت أتأمل» (مز٧٧: ٥)، وأيضاً: «تذكرت الأيام الأولى ولهجت في كل أعمالك، وفي صنائع يديك كنت أتأمل، صارت نفسي لك مثل أرض بلا ماء» (مز١٤٣: ٥، ٦).

فمتى استعدت الحرارة داخلك، اشتغل بالهذيذ بعظائم الله.

وحينئذ ستخلص بنعمة الآب والإبن والروح القدس إلى الدهر، آمين. □

